

الفصل الأول

الفتح الإسلامي للأندلس

- أولاً : الحالة في إسبانيا قبل الفتح
- ثانياً : مقدمات فتح الأندلس
- ثالثاً : عبور المسلمين إلى الأندلس
- رابعاً : اتمام فتح الأندلس

● لفظ الأندلس:

- يُطلق على إسبانيا الإسلامية بصفة عامة.
- بدأ استعماله للإشارة إلى شبه جزيرة أيبيريا كلها عندما كانت تحت حكم المسلمين.
- تقلص المدلول الجغرافي ليتناسب مع الوضع السياسي للدولة الإسلامية في المنطقة.
- انتهى ليقصر على **مملكة غرناطة الصغيرة** (آخر مملكة إسلامية في إسبانيا)، والتي تقع في الركن الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة.

● أصل كلمة الأندلس:

- مشتقة من كلمة **واندلس**، وهو اسم قبائل الواندال الجرمانية التي اجتاحت أوروبا في القرن الخامس الميلادي واستقرت جنوب إسبانيا.
- قام العرب بتعريب الاسم إلى **الأندلس**.
- بعد سقوط غرناطة عام **1492م** وانتهاء الحكم الإسلامي، أطلق الإسبان اسم **أندلوسيا** على الولايات الجنوبية الإسبانية، التي تشمل قرطبة وإشبيلية وغرناطة حتى اليوم.

● لفظ إسبانيا:

- يشير إلى شبه جزيرة أيبيريا بوجه عام، شاملاً الأراضي الإسلامية (الأندلس) والمسيحية.

● موقع شبه جزيرة أيبيريا:

- تقع جنوب غرب أوروبا، ومساحتها حوالي **600 ألف كيلومتر مربع**.
- تحدها:
 - البحر المتوسط جنوباً وشرقاً.
 - المحيط الأطلسي شمالاً وغرباً.
- تتصل بشمال إفريقيا عبر **مضيق جبل طارق**، وبفرنسا شمالاً عبر **جبال البرانس**.

● الطبيعة الجغرافية:

- عبارة عن هضبة متوسطة الارتفاع.
- تتخللها سلاسل جبلية كثيرة تفصل بينها أودية تمر بها الأنهار.
- الأنهار المهمة:
 - **الوادي الكبير**: يمر بمدينة قرطبة وإشبيلية.
 - **وادي يانة**: يقع شمال الوادي الكبير.
 - **نهر التاجا/التاجو**: في وسط الهضبة وعليه تقع مدينة طليطلة.
- **جبال البرانس**: تفصلها عن فرنسا وتوفر ممرات ومضائق.
- **العزلة الجغرافية**: جعلتها في شبه عزلة عن أوروبا بسبب جبال البرانس.

أولاً : الحالة في إسبانيا قبل الفتح

● الوضع في إسبانيا قبل الفتح الإسلامي:

- كانت تحت حكم القوط الغربيين (قبائل جرمانية).
- قبل ذلك بنحو 3 قرون، كانت ولاية رومانية تحت سيطرة روما.
- احتل القوط إسبانيا في أوائل القرن الخامس الميلادي بعد طردهم للوندال.
- الوندال:
- احتلوا أيبيريا من القرن الثالث وحتى الخامس الميلادي.
- اتجهوا بعدها إلى شمال إفريقيا وطُردوا منها على يد الرومان عام 534م.

● القوط الغربيون:

- إحدى القبائل الجرمانية التي هبطت من شمال أوروبا.
- بدأ نشاطهم في عهد الإمبراطور إسكندر سيفروس (222-235م).
- زحفوا نحو البلقان، ثم اليونان، وألحقوا بها الخراب والدمار.
- هزمهم الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول عام 322م وأجبرهم على الانسحاب إلى داقية.
- نهضة القوط وقوتهم:

- في عهد قائدهم الاريك، عادوا وثاروا في اليونان وتراقيا، وخرّبوا البلاد.
- زحفوا في أوروبا، ودخلوا روما عام 410م ونهبوها.
- عقدوا صلحاً مع الإمبراطور الروماني هونوريوس الذي سمح لهم بدخول الجيش الإمبراطوري.
- مملكة القوط في فرنسا:

- استقروا في أواسط وجنوب فرنسا (بين نهري اللوار والجارون).
- اتخذوا مدينة تولوز عاصمة لهم بموافقة الإمبراطور.
- أقاموا مملكة قوطية خاضعة لروما.
- سيطرتهم على إسبانيا:

- في عهد الملك تيودوريك الثاني، دخلوا إسبانيا، طردوا الوندال، وضموا شبه الجزيرة إلى مملكتهم.
- بحلول نهاية القرن الخامس، حكم القوط شبه الجزيرة الأيبيرية بالكامل.
- امتد حكمهم من نهر اللوار إلى شواطئ إسبانيا الجنوبية.
- الفرنج غزّوهم من الشمال وأجلّوهم عن فرنسا، فاستقروا في إسبانيا.
- ظلوا يحكمون إسبانيا لمدة قرنين حتى الفتح الإسلامي.
- عواصم القوط في إسبانيا:

- اختاروا مدينة ماردة عاصمة لهم (549-554م)، وتقع في الجنوب.
- عدلوا عنها لاحقاً إلى مدينة طليطلة في الشمال، وسُميت بـ"المدينة الملكية".
- اللغة والدين في العهد القوطي:

■ اللغة السائدة: اللغة الرومانية (اللاتينية).

■ الدين:

- القوط اعتنقوا المسيحية ولكن على المذهب الأريوسي (يقول بطبيعة واحدة للسيد المسيح).
- الرعايا الإسبان كانوا على المذهب الكاثوليكي (يقول بالطبعتين).
- هذا الاختلاف تسبب في عداوة شديدة بين القوط والرعايا.
- تحول القوط إلى الكاثوليكية في عهد الملك ريكاردو (586-601م)، مما أدى إلى مصالحة وتحسن الأحوال لفترة.

○ تدهور الحكم القوطي:

■ الثلاثون سنة الأخيرة قبل الفتح الإسلامي كانت سنوات عجاف كما وصفها المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال.

■ تميزت بـ:

- فوضى واضطرابات.
- استبداد القوط بالحكم.
- سوء السياسة، مما أدى إلى تدهور حالة إسبانيا.
- أصبحت البلاد ضعيفة سياسياً واجتماعياً، ما جعلها فريسة سهلة لأي فاتح.

○ عدم السيطرة الكاملة على أيبيريا:

■ القوط الغربيون لم يتمكنوا من بسط نفوذهم على كامل شبه الجزيرة.

■ عناصر مثيرة للمتعاب للقوط:

● البشكنس (الباسك):

- يعيشون غرب البرانس وعلى شاطئ خليج يسكاي.
- أعداء طبيعيين للقوط.

● مملكة السلاف:

- تقع في أقصى الغرب.
- كانوا مستقلين ودائماً يثيرون المتاعب لدولة القوط.
- مستعدون للتحالف مع أعداء القوط.

○ المجتمع الإسباني في ذلك الوقت:

■ كان منقسماً إلى طبقات تسيطر بعضها على بعض سيطرة تامة.

التركيبة الاجتماعية والسياسية في إسبانيا قبل الفتح الإسلامي، وازاي كانت الدولة القوطية في حالة تدهور بسبب مشاكل داخلية واضطرابات:

الطبقات الاجتماعية:

1. الطبقة الحاكمة والنبلاء:

- الملك كان بيتعين بالانتخاب، وده كان بيعمل مشاكل ومؤامرات بين النبلاء عشان يوصلوا للحكم.
- النبلاء كانوا عندهم نفوذ كبير وأراضي واسعة معفاة من الضرائب.

2. رجال الكنيسة:

- كان ليهم نفوذ ديني وسياسي كبير.
- سيطروا على نسبة كبيرة من الأراضي الزراعية، برضه معفاة من الضرائب.

3. الطبقة الوسطى:

- ضمت التجار وصغار الملاك.
- كانوا يدفعوا ضرائب ضخمة، وعددهم كان قليل في الفترة الأخيرة من حكم القوط.

4. طبقة عبيد الأرض:

- أكبر عدد من الناس، وأقلهم حقوق.
 - كانوا يعيشون في أراضي النبلاء ورجال الدين، ومرتبطين بالأرض التي يعيشون فيها.
5. اليهود:

- اشتغلوا في الأعمال المالية والحسابية، لكن كانوا مكروهين بسبب الربا واختلاف عقيدتهم.
- تعرضوا لاضطهاد وشاركوا في مؤامرات لإسقاط الدولة القوطية بالتعاون مع المسلمين.

الحالة السياسية:

- الملك القوطي "إخيك" حاول يحكم مع ابنه "غيثشة"، وده عمل مشاكل مع النبلاء.
- لما مات "غيثشة"، ابنه "وقلة" حاول يسيطر على الحكم لكن اتغلب عليه النبلاء واختاروا الملك "لذريق".
- حصلت انقسامات داخل الجيش والسياسة بسبب الخلافات بين الملوك والنبلاء.

دور حاكم سبته (يوليان):

- "يوليان" حاكم سبته تحالف مع المسلمين عشان يساعد أبناء الملك "غيثشة" ضد "لذريق".
- كان فيه دافع شخصي كمان، لما الملك "لذريق" اغتصب بنت يوليان.
- بدأ يوليان يتواصل مع طارق بن زياد والي طنجة، وعرض عليه فكرة فتح الأندلس.

الفتح الإسلامي:

- الأوضاع السياسية والاجتماعية السيئة في إسبانيا سهلت للمسلمين الدخول.
- حاكم سبته وعد المسلمين بمساعدتهم في النقل عبر مضيق جبل طارق.
- كانت الخطوة جزء من توسع إسلامي بدأ من الجزيرة العربية.

الخلاصة: المجتمع الإسباني وقتها كان مفكك وفيه ظلم اجتماعي كبير. النظام السياسي مليان انقسامات ومؤامرات، وده ساعد المسلمين على تحقيق الفتح بسهولة نسبيًا.

ثانيًا: مقدمات فتح الأندلس

● إعداد الخطط لفتح الأندلس:

- بعد فتح المغرب، بدأ موسى بن نصير من مدينة القيروان بإعداد خطط لنشر الإسلام في الأندلس.
- جمع الأخبار والمعلومات عن الأندلس، وصارت مدينة طنجة مركز عملياته بسبب قربها من إسبانيا وموقعها على المضيق المؤدي إليها.
- دور طارق بن زياد:

- أقام طارق بن زياد في طنجة بعد فتحها، وأصبح الساعد الأيمن لموسى بن نصير في إعداد خطة فتح الأندلس.
- طارق كان من البربر (السكان الأصليين لأفريقيا) وخبيراً بأحوال إسبانيا وثرواتها.
- ينتمي لقبيلة نفزاوة، وهي من القبائل التي أسلمت مبكراً. أسلم والده أيام عقبة بن نافع.
- طارق التحق بخدمة المسلمين بعد وفاة والده وكان صغير السن، لكنه تميز بحماسة وغيرة شديدة على الدين الإسلامي.

● الثقة المتبادلة بين موسى وطارق:

- أثبت طارق كفاءته، وأصبح من أشد المقربين لموسى بن نصير، وكان أميناً على تنفيذ خطته لفتح الأندلس.
- تخطيط الفتح بناءً على خطة محكمة:
- لم يكن فتح إسبانيا صدفة أو مجازفة، بل كان نتيجة خطة محكمة شبيهة بخطة فتح مصر على يد عمرو بن العاص.
- الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في دمشق وافق على خطة موسى بن نصير لفتح الأندلس بشرط اختبار الوضع مسبقاً بالسرايا وعدم تعريض المسلمين للخطر في البحر.
- الغارات الاستكشافية:

- موسى بن نصير قام بعدة غارات استكشافية على جنوب إسبانيا تنفيذاً لأوامر الخليفة.
- استدعى الكونت يوليان، حاكم سبتة، الذي كان حليفاً ومحرصاً على غزو إسبانيا.

● دور الكونت يوليان:

- حذره موسى من المخاطرة، وطلب منه شن غارة بنفسه لاختبار الوضع وقطع علاقاته مع ملكه الذريق.
- نفذ يوليان الغارة بجيشه على الساحل الجنوبي للأندلس، حيث قتل وسبى وغنم، وعاد محملاً بالخيرات.
- نجاح الغارة زاد من حماسة المسلمين للغزو.

حملة طريف بن مالك

● إرسال حملة استطلاعية بقيادة طريف بن مالك:

- لم يكتف موسى بن نصير بغارة الكونت يوليان، فأرسل حملة استطلاعية جديدة بقيادة طريف بن مالك الملقب بأبي زرعة، وهو مسلم من البربر.
- أمر طريف بشن غارة على الساحل الجنوبي لإسبانيا.
- تفاصيل الحملة:

- عبر طريف الزقاق (مضيق جبل طارق) على متن أربع سفن قدمها الكونت يوليان في رمضان سنة 91هـ / يوليو 710م.
- كان مع طريف أربعمئة رجل ومائة فارس.
- نزلوا في مكان قريب من صخرة جبل طارق، يعرف بجزيرة بالوما (Isla de las Palomas)، والتي عرفت لاحقاً بجزيرة طريف (Tarifa) نسبة إلى القائد طريف بن مالك.

● نتائج الحملة:

- شن المسلمون سلسلة غارات ناجحة على الجزيرة الخضراء.
- عادت الحملة بغنائم كثيرة وأخبار مطمئنة ومشجعة على الاستمرار في الفتح.
- أثبتت الحملة تفسخ صفوف الإسبان وضعف قدرتهم على المقاومة، مما زاد من اقتناع المسلمين بجوئ استكمال الفتح.

ثالثاً : عبور المسلمين إلى الأندلس

حملة طارق بن زياد

● تكليف طارق بن زياد بفتح الأندلس:

- بعد أن تأكد موسى بن نصير من ضعف المقاومة الإسبانية بناءً على كلام يوليان، أرسل حملة لفتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد، والي طنجة.
- عبر طارق إلى الأندلس في رمضان سنة 92هـ / 711م.
- قوة الجيش الإسلامي:

- تألفت الحملة من 7,000 مقاتل، معظمهم من البربر والموالي، وقلة من العرب.
- اعتماد العرب على البربر في جيش الفتح يدل على:
- 1. إيمان البربر بالدين الإسلامي وحماسهم لنشره.
- 2. ثقة قادة المسلمين بالبربر وقدرتهم على إنجاز المهمة.
- 3. خبرة البربر بطبيعة البلاد الإسبانية ودروبها ومواطن ضعف وقوة أهلها.
- 4. شجاعتهم واعتمادهم في المهام الصعبة.

● عبور الجيش مضيق جبل طارق:

- جاز المسلمون المضيق على متن 4 سفن قدمها لهم الكونت يوليان حاكم سبتة.
- ربما ساعدت بعض سفن الأسطول الأموي من القاعدة البحرية في تونس.

● اختلاف المؤرخين حول عملية العبور:

- بعض الروايات تشير إلى أن نقل الجيش الإسلامي تم عبر مراكب يوليان أو تجار الروم، وهو ما يبدو غريباً وغير متفق مع سياسة الدولة الأموية.
- سياسة الدولة الأموية والخليفة الوليد بن عبد الملك كانت تقوم على:
- 1. عدم المغامرة بأرواح المسلمين إلا بعد اتخاذ الاحتياطات اللازمة.
- 2. إنشاء القواعد البحرية والأساطيل قبل بدء الهجوم.

● الرأي الصائب حول النقل البحري:

- يُرجح أن موسى بن نصير اعتمد على أساطيله البحرية العربية المنتشرة على طول الساحل المغربي.
- من غير المعقول أن تكون 4 سفن فقط كافية لنقل جيش كبير عدده 7,000 مقاتل مع الخيل والعتاد.

● نزول المسلمين عند صخرة جبل طارق:

- نزل المسلمون عند صخرة جبل طارق على الشاطئ الإسباني الجنوبي، والتي أصبحت تعرف منذ ذلك الوقت باسم جبل طارق.

- طارق بن زياد أقام في جبل طارق عدة أيام وبنى سوراً حول جيوشه أطلق عليه "سور العرب".

● إعداد القاعدة العسكرية في الجزيرة الخضراء:

- طارق بن زياد أقام قاعدة عسكرية بجوار الجبل على الساحل تسمى الجزيرة الخضراء (Algeciras)، التي سميت أيضاً بـ "جزيرة أم حكيم" نسبة للجارية التي أخذها معه وتركها هناك.
- موقع الجزيرة الخضراء كان قريباً وسهل الاتصال بـ مدينة سبتة على الساحل المغربي، بينما كان من الصعب الاتصال بإسبانيا بسبب المرتفعات بينهما.
- هذا يدل على حسن اختيار طارق لهذا الموقع الاستراتيجي.

- الهدف من الحملة كان إقامة قاعدة للمسلمين على الشاطئ الإسباني لتكون بمثابة رأس جسر يضمن التواصل الدائم بين الشاطنين المغربي والإسباني.
- رد فعل لذريق:

- لذريق كان مشغولاً بمواجهة اضطرابات أمنية في أحواز بنبلونة، وعندما بلغه خبر نزول طارق في الجبل والموقع الذي يتمركز فيه، بدأ في إرسال الجيوش لملاقاة المسلمين.
- كانت القوات التي قادها ابن أخ لذريق، بنج، تُهزم في كل معركة ويُقتل جنوده.
- عندما أدرك لذريق خطورة الموقف، قرر التوقف عن ملاحقة المتمردين في بنبلونة وعاد إلى عاصمته طليطلة حيث جمع الجيوش وطلب المؤن من الولاة، ثم توجه إلى قرطبة ليكون أقرب لمسرح المعركة.

معركة شذونة معركة وادي لكَة _ معركة وادي البرباط

● خطة لذريق للتحضير للدفاع:

- لذريق كان يستعد للدفاع عن بلاده من الغزو الإسلامي، وفي تلك الفترة كان يخطط لتصدي المسلمين الذين نزّلوا في جبل طارق.
- طارق بن زياد تقدم نحو مدينة قرطبة نظراً لأهميتها الاستراتيجية على مجرى الوادي الكبير.
- طارق بن زياد واصل زحفه حتى وصل إلى بحيرة الخندق (لاخندا) في كورة شذونة (Sidonia).
- الاستعدادات العسكرية:

- طارق بن زياد علم من جواسيسه بأن ملك إسبانيا، لذريق، جمع حشوداً ضخمة من القوات، والتي تجاوزت مائة ألف فارس.
- شعر طارق بن زياد بالخوف من مواجهة هذه الحشود الضخمة التي تتفوق عليه عدداً، فأرسل رسالة إلى موسى بن نصير يطلب فيها مدداً.
- استجاب موسى بن نصير ووجه إلى طارق خمسة آلاف جندي إضافي، فصار إجمالي عدد المسلمين في الأندلس حوالي 12 ألفاً.

● بداية المعركة الفاصلة:

- بدأت المعركة في أيام رمضان سنة 92هـ / 711م، في كورة شذونة على نهر وادي لكَة.
- أولاد غيطشة وأنصار يوليان لعبوا دوراً مهماً في التآمر ضد لذريق، مما أسهم في إضعاف جيش القوط.
- تخاذل ولدا غيطشة في معركة ميسرة و ميمنة الجيش الإسباني، مما أدى إلى تراجع الجيش القوطي، ثم هزيمة لذريق هزيمة شنيعة.

● طبيعة المعركة وحجمها:

- كانت المعركة قاسية ودامت ثمانية أيام، وكان القتال شديداً لدرجة أن الطرفين ظنوا أنه الفناء.
- المؤرخون وصفوا المعركة بأنها كانت أعظم مقتلة في المغرب، وأن عظام القتلى ظلت على أرض المعركة طويلاً.
- تسميات المعركة:

- اختلف المؤرخون في تسميات المعركة، ومنها معركة البحيرة، وادي لكَة، وادي البرباط شريش، والسواقي.
- المعركة كانت واسعة النطاق وامتدت عبر أرجاء كورة شذونة كلها، وليس فقط في مدينة شذونة.

● نتيجة المعركة:

- المعركة أسفرت عن نصر عظيم للمسلمين، حيث حطمت مقاومة أعدائهم وفتحت أمامهم شبه الجزيرة الأيبيرية.
- رغم خسارة المسلمين لبعض القتلى والأسرى، إلا أن روحهم المعنوية ارتفعت بشكل كبير.

- طارق بن زياد قرر استمرار الفتح ولم يتوقف عند هذه المعركة، متوجهاً نحو طليطلة العاصمة القوطية بناءً على نصيحة يوليان.

رابعاً : إتمام فتح الأندلس

- فتح الأندلس بعد معركة شذونة:
 - النصر الذي حققه طارق بن زياد في معركة شذونة فتح أبواب الأندلس أمام المسلمين، وكان هذا النصر بداية للتوسع الإسلامي في المنطقة.
 - طارق قرر التقدم نحو العاصمة القوطية طليطلة مع جيشه الرئيسي.
 - استيلاء طارق على مدينة استجه:
 - أثناء زحف طارق، اعترضته قلعة استجه (Ecija) فاستولى عليها، مما سهل له التقدم أكثر في الداخل الأندلسي.
 - احتلال مدينة قرطبة:
 - طارق بن زياد وجه جزءاً من جيشه، بقيادة مغيث الرومي مولى عبد الملك بن مروان، للاتجاه نحو مدينة قرطبة، التي كانت تعد من أهم المدن الأندلسية.
 - مغيث الرومي استطاع احتلال مدينة قرطبة بعد حصار دام ثلاثة أشهر.
 - بعد استيلائه على المدينة، أنشأ مغيث حامية عسكرية من الجنود المسلمين وتعاون مع يهود قرطبة لضبط الأمن فيها وتنظيم شؤونها.
 - دور اليهود في قرطبة:
 - يهود قرطبة كان لهم دور هام في مساعدة المسلمين بسبب كرههم للقوط وانتقامهم لما تعرضوا له من ظلم على أيديهم.
 - إضافة إلى ذلك، كان اليهود يطمحون في الحصول على معاملة رحيمة وعادلة تحت حكم المسلمين، مثل المعاملة التي حصل عليها أبناء دينهم في بلاد المشرق وفي مصر وبلدان شمال أفريقيا.
 - على إثر ذلك، اعتمد طارق بن زياد على اليهود في حفظ البلاد المفتوحة في الوقت الذي كان فيه الجيش الإسلامي مشغولاً في عملية الغزو.

فتح طليطلة

- سار طارق بن زياد بجيشه بعد انتشار خبر نصره العظيم.
- اتجه طارق إلى طليطلة مرّاً بمدينة جيان عبر طريق هاتيبال الروماني القديم.
- القوط لم يستطيعوا جمع قواتهم، فاختر حاكم طليطلة مغادرتها، وكذلك أسقف المدينة ورجال الدين.
- المسلمون استولوا على طليطلة دون مقاومة تذكر.
- ترك طارق بعض الجنود مع يهود طليطلة الذين ساعدوه في ضبط الأمن بالمدينة.
- واصل طارق زحفه فدخل مدينة وادي الحجار.
- اجتاز الجبل من فج حتى وصل إلى مدينة المائدة القريبة من قلعة هنارس.
- استولى على المدينة وحقق العديد من الغنائم.
- من أبرز الغنائم مذبح الكنيسة العظمى في طليطلة الذي كان غنياً بالذهب والجواهر.
- مع اقتراب فصل الشتاء وتعب الجنود، خشي طارق من قطع الطريق عليه في المناطق الجبلية.
- قرر الاستراحة في طليطلة لبعض الوقت.
- استنجد طارق بقائده موسى بن نصير للحصول على الدعم لمواصلة الفتح.

عبور موسى بن نصير إلى الأندلس

- **عبور موسى بن نصير المضيق في رمضان عام 93هـ / يونيو 712م** بجيش كبير عدته 18 ألف مقاتل، معظمهم من العرب.
- **استقر موسى عند صخرة جبل طارق** في المعسكرات التي نظمها طارق بن زياد، حيث علم أن طارق قد توغل شمالاً.
- **غضب موسى من طارق**، لأنه تجاوز أوامره وترك المدن في أيدي الأعداء، فاختار موسى طريقاً غربياً بدلاً من طريق طارق.
- **افتتح موسى العديد من المدن:**
 - مدينة شذونة.
 - مدينة قرمونة.
 - ثم أشبيلية، حيث كانت أكبر مدينة في الأندلس وكانت تحت حكم القوط قبل الفتح.
 - حاصر موسى أشبيلية عدة أشهر حتى سقطت بأيدي المسلمين، مع مساعدة يهود أشبيلية الذين تعاونوا مع المسلمين.
- **فتح موسى مدينة ماردة** بعد حصار عدة أشهر، ودخلها المسلمون في عيد الفطر 94هـ / 713م.
- بعد فتح ماردة، أرسل موسى ابنه عبد العزيز لإعادة السيطرة على أشبيلية بعد تمرد سكانها.
- **موسى قرر التوجه نحو طليطلة**، فالتقى طارق عند نهر التاجو بالقرب من المدينة.
 - بعض الروايات تذكر أن موسى وبخ طارق بسبب تقدمه دون استشارة.
- دخل موسى وطارق طليطلة، حيث قدم طارق للموسى الغنائم، ومنها مائدة ذهبية من مذبح الكنيسة في طليطلة.
- **موسى قضى الشتاء في طليطلة**، وأرسل رسلاً إلى دمشق، منهم مغيث الرومي، ليخبروا الخليفة بما تحقق من انتصارات في الأندلس.
- **موسى وطارق تابعا سيرهما في الفتوحات** بعد استقرار الأوضاع في الأندلس.
- توجهوا شمالاً إلى حوض نهر الإيبرو في الثغر الأعلى، حيث فتحوا العديد من المدن والحصون.
- وصلوا إلى مدينة سرقسطة (Zaragoza) ودخلوها بسهولة، حيث أسس حنش بن عبد الله الصنعاني مسجد سرقسطة الكبير.
- بعد ذلك، فتحوا مدن شقة، ولاردة، طركونة، ووصلوا إلى شاطئ البحر الشمالي (Cantabrico) عند حدود فرنسا الجنوبية.
- بينما كان موسى وطارق يقاتلون في الأندلس، وفد عليهم مغيث الرومي من دمشق، ليطلب منهما العودة لتقديم الحساب عن الفتوحات أو لأن الخليفة لم يكن راضياً عن تصرفاتهما.
- أوامر الخليفة الوليد بن عبد الملك كانت تقضي بعودة موسى وطارق إلى الشام.
- **رجع موسى وطارق إلى دمشق في أواخر سنة 95هـ / 714م**، حيث خلف موسى ابنه عبد العزيز في الأندلس وجعل أشبيلية عاصمة لها.
- في مطلع العام 96هـ / 715م، وصل موسى وصحبه إلى مشارف الشام، حيث كان الوليد بن عبد الملك مريضاً.
- **موسى تجاهل رسالة سليمان**، شقيق الخليفة، واستمر في سيره إلى الوليد، حيث سلم الخليفة غنائم وأسرى من الأندلس.
- توفي الوليد بعد أسابيع، وأصبح سليمان خليفة، الذي لم يكن راضياً عن موسى، فابتعد عنه وعفا عنه ولكن لم يعيده إلى الأندلس.
- **موسى توفي سنة 97هـ / 716م**، وظل في المشرق بعد رحيله عن الأندلس.
- **طارق بن زياد ذهب مع موسى إلى المشرق**، ومن ثم لا يُعرف عنه شيء بعد ذلك.
- بفضل موسى وطارق، معظم شبه جزيرة أيبيريا أصبحت تحت حكم المسلمين، ولم يبق سوى بعض الأطراف الشرقية والشمالية الغربية.
- **عبد العزيز بن موسى فتح شرق الأندلس (El Levante)**، وكانت المقاومة تركزت في كورة تدمير وأوريولة.
- **تيودومير**، أمير القوط في تلك المنطقة، عقد معاهدة مع عبد العزيز تضمن استقلاله مقابل جزية سنوية، كما أقر المعاهدة بأن يظل سكان المنطقة أمنين على حياتهم وأموالهم، ولهم حرية العبادة.
- **الركن الشمالي الغربي من إسبانيا**، والمعروف بـ **أشتوريس (Asturias) وجليقية (Galicia)**، لم يخضع بالكامل للسلطة الإسلامية بسبب وعورة المسالك وبرودة المناخ. لذا، لم يهتم المسلمون بالمنطقة واستهانوا بها.
- استطاع **بلايو (Pelayo)** القوطي، من فلول الجيش المهزوم، أن يعتصم في جبال المنطقة، التي تُسمى قمم أوروبا أو كوفادونجا (Covadonga).

- في كوفادونجا، أسس بلايو وأتباعه نواة دولة إسبانيا النصرانية وحركة المقاومة الإسبانية التي بدأت تنمو حتى استولت على مدينة ليون.
- مملكة ليون سيطرت على المنطقة الشمالية الغربية من إسبانيا، وأحاطت نفسها بسلسلة من القلاع لحمايتها من هجمات المسلمين.
- أصبحت هذه القلاع تعرف في المصادر العربية باسم منطقة القلاع، وفي المصادر الإسبانية بـ **Castellas** (أي القلاع).
- في القرن العاشر، فرنان جونثالث من أقوى أمراء القلاع استقل عن مملكة ليون، وأصبحت هذه المنطقة تعرف بـ قشتالة، والتي حولها المسلمون إلى كشتالة.
- مملكة قشتالة توسعت تدريجياً على حساب المسلمين والمسيحيين حتى سيطرت على إسبانيا، ثم انتقل نفوذها إلى أمريكا مع حركة الكشوف الإسبانية الحديثة.
- اللغة القشتالية أصبحت اللغة الرسمية في إسبانيا ودول أمريكا اللاتينية (باستثناء البرازيل التي تتحدث البرتغالية).
- إذا كانت الفتوحات قد شملت المرتفعات الشمالية الغربية في جليقية، كان من الممكن أن تتحقق أهداف الفتوح بالكامل، وقد تكون تاريخ إسبانيا الإسلامي اتخذ مساراً مختلفاً.
- فتح الأندلس كان بداية لعصر جديد في إسبانيا، حيث تطور النظام الاجتماعي بشكل كبير بعد فترة من القهر والاستبداد.
- رغم أن المسلمين كانوا منشغلين بتوسيع الفتوحات، إلا أنهم نظموا البلاد وأعادوا الزراعة والصناعة والتجارة إلى الحياة بعد فترة من الركود.
- الطبقات الممتازة فقدت سلطتها، وتحسن وضع الشعب بعد إلغاء الأعباء والضرائب الظالمة.
- المسلمون فرضوا ضرائب عادلة على الجميع، وكان لهم التسامح الديني، حيث أداء الجزية كان مقابل الحرية الدينية للنصارى واليهود.
- التسامح في السياسة الإسلامية جعل الكثير من المؤرخين الغربيين يشيدون بسياسة الفتح الإسلامي في إسبانيا.

أحمد كرم

الفصل الثاني

عصر الولاة في الأندلس

أولاً: جهاد المسلمين خلف جبال البرتات
ثانياً: الفتن والحروب الداخلية في المغرب والأندلس

الفترة الأولى للحكم الإسلامي في الأندلس، والمعروفة بـ عصر الولاة، تبدأ بعد انتهاء الفتح في شبه الجزيرة الأيبيرية ومغادرة موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى المشرق. وعُين عبد العزيز بن موسى بن نصير والياً على الأندلس في أواخر عام ٩٥ هـ / ٧١٤ م، واتخذ من إشبيلية عاصمة له، وتنتهي هذه الفترة بوصول عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس عام ٧٥٦ م / ١٣٨ هـ.

السمات البارزة في عصر الولاة:

1. الفتن الداخلية: شهد هذا العصر صراعات بين العرب والبربر، وأحياناً بين العرب أنفسهم.
2. الغزوات الخارجية: قامت الأندلس في هذا العصر بعدة غزوات على جنوب فرنسا.
3. الارتباط بالخلافة الأموية: كانت الأندلس تابعة لولاية أفريقية وتخضع للخلافة الأموية في دمشق.
4. تعيين الولاة: كان الوالي يُعين من قبل الخليفة في دمشق، أحياناً من والي المغرب الإسلامي أو حتى من قبل أهل الأندلس نتيجة لبعدهم عن مركز الخلافة.
5. نقل العاصمة: بدأت العاصمة في إشبيلية ثم انتقلت إلى قرطبة بعد حوالي ثلاث سنوات.

ولاة الأندلس في هذا العصر:

- خلال هذه الفترة تعاقب 20 والياً على الأندلس، حكم اثنان منهم مرتين:

- عبد الرحمن الغافقي: حكم مرتين (الولاية الأولى عام 102 هـ والولاية الثانية عام 112 هـ) واستشهد في معركة بلاط الشهداء عام 732م.
- عبد الملك بن قطن: حكم مرتين (الولاية الأولى عام 114 هـ، الثانية عام 123 هـ).
- آخر الولاة كان يوسف بن عبد الرحمن الفهري.

تطور الأوضاع:

- بعد سنوات من التنظيم، أصبحت الأندلس ولاية مستقلة تحت الخلافة، ولكن سرعان ما عادت تحت إشراف الشمال الأفريقي في بعض الأحيان.
- أول والي عينه الخليفة كان السمح بن مالك الخولاني في رمضان 100هـ / أبريل 719م.

تحديات الولاة:

- بعد أكثر من أربع سنوات من الفتح، استلم الولاة مسؤولية تثبيت الإسلام في شمال إسبانيا، بالإضافة إلى صد التحركات العسكرية للممالك المسيحية في الشمال.

أبرز الأحداث في حكم الولاة:

- اغتيال عبد العزيز بن موسى بن نصير نتيجة مؤامرة دبرها كبار قواده عام 97 هـ.
- أيوب بن حبيب اللخمي خلف عبد العزيز وحكم لمدة ستة أشهر فقط، وهو الذي أنشأ قلعة أيوب في جنوب سرقسطة.
- الحر بن عبد الرحمن الثقفي خلف أيوب، ونقل العاصمة من إشبيلية إلى قرطبة.
- بعد الحر، تولى السمح بن مالك الخولاني حكم الأندلس، وبدأ جهاد المسلمين خلف جبال البرتات.

أولاً: جهاد المسلمين خلف جبال البرتات

جهاد السمح بن مالك

تولى السمح بن مالك الخولاني ولاية الأندلس بتعيين من الخليفة عمر بن عبد العزيز، الذي قرر أن تصبح الأندلس ولاية مستقلة عن أفريقية وتابعة مباشرة للخلافة الأموية، وذلك بسبب أهمية الأندلس واتساع شئونها. ومن بين الأوامر التي أعطها الخليفة عمر بن عبد العزيز للسمح:

- خمس الأراضي في الأندلس، أي أن يُخصم خمس الأرض والغنائم من الأراضي المفتوحة عنوة.
- إقرار القرى في يد أصحابها بعد أخذ الخمس منها.
- كتابة تقرير عن الأندلس وأنهارها.

أهم إصلاحات السمح بن مالك:

1. الإصلاحات الإدارية والعمرانية: كان السمح معروفاً بحكمته وخبرته، فقام بإصلاحات عديدة في الجيش والإدارة. وبهذا الشكل تمكن من قمع الفتن والصراعات الداخلية.
2. إعادة بناء سور قرطبة: كما قام بإعادة بناء سور قرطبة وقنطرتها التي تربط المدينة بأرباضها الجنوبية عبر نهر الوادي الكبير.
3. إصلاح الجيش: عمل على تقوية الجيش وتحسين تنظيمه ليكون قادراً على مواجهة التحديات العسكرية.

الجهاد خلف جبال البرتات:

- كان من أهم أعمال السمح بن مالك هو عبوره لجبال البرتات، وهي سلسلة جبال تمتد بين فرنسا وإسبانيا.

- قام بغزو جنوب فرنسا بعد عبور هذه الجبال، التي كانت تُعتبر حدودًا طبيعية بين البلدين.
- جبال البرتات تمتد بمسافة تصل إلى ٤٣٠ كم، وبعض قممها تصل إلى ٣٤٠٠ متر، مما جعل عبورها تحديًا كبيرًا.

الوضع في فرنسا:

- في ذلك الوقت، لم تكن فرنسا كدولة واحدة موجودة بعد، بل كانت تنقسم إلى إمارات مستقلة.
- كانت الأراضي الواقعة شمال جبال البرتات تُعرف ببلاد الغال أو غاليا، وكان هذا الإقليم مقسمًا إلى عدة مناطق، مثل:
 - سبتمانيا في الجنوب (تعني المدن السبع).
 - أكيثانيا في الغرب.
 - بروفانس وبرغونة في الشرق.
 - مملكة الفرنجة الميروفنجية في الشمال، التي تمتد شرقًا لتشمل أجزاء من ألمانيا الحالية.

تعتبر فترة ولاية السمع بن مالك مرحلة هامة في تاريخ الأندلس من حيث استقرار الأوضاع الداخلية وانطلاق الجهاد في المناطق المجاورة، وكذلك التوسع نحو الأراضي الفرنسية.

السمع بن مالك بنى خطته العسكرية على تأمين الحدود الشمالية للأندلس، وخاصة من إمارة سبتمانيا التي كانت جزءًا من الدولة القوطية السابقة. فقد أدرك السمع أن وجود القوط في سبتمانيا يشكل تهديدًا لخطوط إمداده وصعوبة في سير الجيوش الإسلامية، لذا قرر توجيه اهتمامه لتحسين المراكز الإسلامية في منطقة غالة وفتح سبتمانيا التي كانت تمثل نقطة استراتيجية.

اختيار برشلونة كمركز للعمليات:

- برشلونة تم اختيارها لتكون قاعدة لتجميع الجيوش المتجهة إلى فرنسا، وذلك لموقعها الاستراتيجي بالقرب من ممرات جبال البرتات، ولا سيما ممر باربنان الذي يربط بين برشلونة وأربونة. وهذا الممر ساعد في تسهيل حركة الجيوش إلى سبتمانيا.
- كما أن برشلونة تتمتع بموقع بحري هام، مما جعلها ميناء رئيسي لتسليم الإمدادات عبر البحر.

اختيار أربونة كقاعدة عسكرية:

- أربونة، التي كانت قريبة من البحر، تم اختيارها كقاعدة عسكرية للمسلمين بسبب موقعها الذي يسهل إرسال الإمدادات عبر البحر، بالإضافة إلى مناخها المعتدل الذي يشبه إلى حد كبير مناخ مدن المغرب والأندلس.
- اختيرت أربونة لتكون قاعدة انطلاق للجيوش لفتح باقي المناطق في غالة.

الهجوم على سبتمانيا:

- بعد تجميع الجيوش في برشلونة، توجه السمع بن مالك إلى سبتمانيا عبر جبال البرتات، حيث كانت أربونة الهدف الأول.
- حاصر السمع أربونة، واستولى عليها، ثم تقدم الجيوش نحو المدن المجاورة مثل قرقشونة وبيزيه وماجلون.
- استمرت الحملة حتى إخضاع سبتمانيا بالكامل، وفي عام 101 هـ (720م)، وصل المسلمون إلى مدينة تولوز.

الحملة على دوقية أكيثانيا:

- بعد إخضاع سبتمانيا، توغل السمع في دوقية أكيثانيا التي كانت تحت حكم الدوق يودو.
- وصل السمع إلى تولوز، حيث واجه مقاومة عنيفة من قوات الدوق يودو. في معركة شرسة دارت في أحواز المدينة، قتل السمع بن مالك في المعركة التي وقعت في عام 102 هـ (721م).
- مقتل السمع كان ضربة قاسمة للجيوش الإسلامية، مما أدى إلى هزيمة ساحقة وانسحاب المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي إلى أربونة، التي أصبحت قاعدة للغزو الإسلامي عبر جبال البرتات.

تأثير مقتل السمح:

- مقتل السمح بن مالك ترك تأثيرًا كبيرًا في صفوف الجيش الإسلامي، حيث ألقى الرعب في قلوبهم، مما جعلهم ينسحبون من أرض المعركة.
- رغم الهزيمة، استمرت أربونة في لعب دورها كقاعدة انطلاق في الغزو إلى ما وراء جبال البرتات.

تمثل هذه الحملة مرحلة مهمة في تاريخ الفتح الإسلامي في غالة، ورغم الهزيمة العسكرية، كانت قاعدة أربونة نقطة انطلاق للغزوات الإسلامية في تلك المنطقة.

جهاد عنيسة بن سحيم

بعد مقتل السمح بن مالك وتراجع الجيوش الإسلامية في غالة، استعاد عبد الرحمن الغافقي زمام الأمور في الأندلس، وأصبح هو المسؤول عن ترتيب الأوضاع في الأندلس بعد أن عاد سالمًا من أرض المعركة. وفي عام 103 هـ، تولى عنيسة بن سحيم الكلبي ولاية الأندلس من قبل يزيد بن أبي مسلم، ثم أقره الخليفة هشام بن عبد الملك على الأندلس بعد مقتل يزيد.

خصائص عنيسة بن سحيم الكلبي:

- عنيسة بن سحيم كان من أبرز الفاتحين في تلك الحقبة، وكان معروفًا بالتقوى والورع، بالإضافة إلى كفاءته العسكرية والإدارية.
- كان له دور كبير في إعادة الاستقرار للأندلس بعد الهزيمة التي تعرض لها المسلمون في تولوز، حيث حرص على ترتيب أمور الداخل الأندلسي، ومحاولة تهدئة بين العرب والبربر، والتعامل مع الخلافات القبلية.

استئناف الجهاد في سبتمانيا:

- بدأ عنيسة بإصلاح الأوضاع الداخلية في الأندلس، وعمل على تنظيم جيش قوي لمواصلة الفتح الإسلامي في غالة. وفي أواخر سنة 105 هـ، بدأ عنيسة استنفار المجاهدين و تجهيز جيش من برشلونة، حيث عبر ممر باربنيان واستقر في أربونة، وهي القاعدة العسكرية التي كانت قد استولى عليها المسلمون قبل مقتل السمح بن مالك.
- استعاد عنيسة العديد من المعاقل في سبتمانيا التي كانت قد فقدت بعد هزيمة السمح بن مالك، ثم زحف إلى نهر الرون، حتى وصل إلى قرقشونة، حيث حاصرها في أوائل سنة 106 هـ.

معاهدة الصلح مع أهل قرقشونة:

- بعد الحصار الشديد، تم التوصل إلى معاهدة صلح بين المسلمين وأهل قرقشونة. شملت الاتفاقية عدة بنود هامة:
 1. تنازل أهلها عن الأراضي التابعة للمدينة لصالح المسلمين.
 2. إطلاق سراح أسرى المسلمين ورد أسلحتهم وأمتعتهم.
 3. دفع الجزية من قبل أهل المدينة.
 4. الالتزام بأحكام أهل الذمة: حيث تعهدوا بمحاربة أعداء المسلمين ومساندتهم في الحرب ضدهم، بينما كانوا في سلام مع المسلمين.

تأثير هذه الحملة:

- تمثل حملة عنيسة بن سحيم بداية جديدة في إعادة السيطرة الإسلامية على إقليم سبتمانيا، مما أتاح للمسلمين العودة إلى المنطقة بعد فترة من الهزائم.
- نجح عنيسة في إعادة الاستقرار إلى الأندلس ومنطقة غالة، مما ساهم في تعزيز الوجود الإسلامي في هذه المناطق لفترة طويلة.

وبذلك، أثبت عنبسة بن سحيم كفاءته في إعادة بناء قوة المسلمين في الأندلس، ووضع أسسًا لاستئناف الفتح في غالة، وأعاد للأمة الإسلامية جزءًا من هيبتها بعد الهزيمة التي تعرضت لها في تولوز.

بعد أن استعاد عنبسة بن سحيم العديد من المناطق في سبتمانيا، قرر أن يواصل مسيرته باتجاه الشرق بدلاً من السير في الاتجاه الذي سار فيه السمع بن مالك وسط أراضي غالة. توجه عنبسة إلى مدينة نيم (Nimes)، وهي مدينة تقع بالقرب من نهر الرون، ودخلها بلا مقاومة. ومن هناك أخذ رهائن من أهل المدينة، ونقلهم إلى برشلونة، التي كانت قاعدة الثغر الأعلى في الأندلس.

سير الحملة:

- سار عنبسة بمحاذاة البحر حتى وصل إلى نهر الرون، وواصل فتح المدن في المنطقة.
- بعد استيلائه على نيم، تجنب الدخول إلى مقاطعة أكيثانيا، حيث فضل دوق أكيثانيا مهادنة المسلمين خوفاً من تصعيد الصراع مع شارل مارتل، رئيس بلاط الفرنجة، الذي كان يخطط لصد المسلمين.
- واصل عنبسة السير حتى وصل إلى إقليم بروفانس في الجنوب، ثم صعد شمالاً على ضفاف نهر الرون حتى بلغ مدينة ليون، والتي استولى عليها.
- استمر في تقدمه حتى وصل إلى إقليم برغونية (برجنديا)، ومنه إلى مدينة أوتون على أعالي نهر الرون، ثم استمر حتى وصل إلى مدينة سانس (Sens)، وهي أقصى نقطة وصل إليها الجيش الإسلامي في تلك الحملة داخل غالة.

قرار التراجع:

- رغم وصوله إلى سانس، التي كانت أقصى نقطة في حملته، إلا أن وعورة المنطقة المحيطة بالمدينة حالت دون بقائه هناك.
- فقرر التراجع خوفاً من التعرض لهجوم مفاجئ من قبل القوات الفرنسية.
- وبعد أن قرر العودة إلى الأندلس، قطع أهالي البلاد عليه خط الرجعة، مما أدى إلى استشهاده في سنة 107 هـ (726م)، وهو نفس مصير السمع بن مالك في تولوز.

تحليل الحملة:

- يمكن القول أن حملة عنبسة بن سحيم كانت أقرب إلى استكشاف جريء منها إلى حملة فتح، حيث لم يستقر في أي مدينة خارج نطاق سبتمانيا، بل كان يهدف إلى التمدد العسكري واستكشاف الأراضي، ولكن لم يكن هناك خطط للبقاء والاستقرار في المناطق المفتوحة.
- ورغم هذه الحملة التي لم تكلل بالنجاح الكامل، إلا أن عنبسة قد حفر اسمه في تاريخ الفتوحات الإسلامية بجراته في استكشاف أراضي غالة والقيام بحملة عسكرية واسعة النطاق، دون أن يواجه مقاومة قوية تذكر إلا من بعض المناطق.

النتيجة:

- رغم تراجع المسلمين عن بعض المدن بسبب الظروف الجغرافية والأوضاع العسكرية، إلا أن حملة عنبسة أسهمت في تثبيت وجود المسلمين في سبتمانيا وفي بعض المناطق الأخرى داخل غالة.
- استشهد عنبسة بن سحيم في نهاية حملة جريئة ولكنها لم تحقق الاستقرار في غالة مثلما كان يرغب، ليعود المسلمون إلى الأندلس بعد فقدان أحد أبرز قادتهم.

جهاد عبد الرحمن الغافقي

- بعد فترة من الاضطرابات في الأندلس، تولى عبد الرحمن الغافقي ولاية الأندلس سنة 112 هـ / 730م.
- عبد الرحمن الغافقي كان شجاعاً ومتحمساً للجهاد وبرزت لديه الرغبة القوية في الفتوحات والتوسع.
- كان عبد الرحمن جندياً بارعاً ومجاهداً مؤمناً بنشر الإسلام، وكان أيضاً رجل حكم وإدارة من الطراز الأول.

- حاول عبد الرحمن الغافقي إصلاح الأوضاع الداخلية في الأندلس وإخماد العصبيات العربية، وكان يركز على تكوين جيش قوي للفتوح.
- في سنة 114 هـ / 732م، خرج عبد الرحمن الغافقي بجيشه الكبير لمواصلة الفتح في فرنسا.
- عبر ولاية نبرة ودخل غالة متجهًا إلى مدينة أرل، التي خرجت عن طاعة المسلمين وتوقفت عن دفع الجزية.
- بعد فتح مدينة أرل، عبر جبال البرتات، وبدأ في البحث عن طرق جديدة للتقدم داخل غالة.
- عبر ممر الرونسفال في عام 114 هـ / 732م، متجهًا نحو إقليم أكيثانيا لملاقاة الدوق يودو.
- حاول الدوق يودو إيقاف تقدم المسلمين قبل الوصول إلى مدينة بوردو، ولكنه انهزم في معركة شرسة عند تلاقي نهر الجارون والدرودن.
- استولى عبد الرحمن الغافقي على مدينة بوردو، التي اشتهرت بصناعاتها للسيوف البردليات.
- فرّ الدوق يودو مع من تبقى من جنده نحو الشمال، وسقطت أكيثانيا بيد المسلمين.
- شعر الدوق يودو بعجزه عن مقاومة توسع المسلمين، فاستنجد بالدولة الميروفنجية بقيادة شارل مارتل.
- في تلك الفترة، كانت السلطة الفعلية في يد شارل مارتل، الذي كان يسعى لتوسيع نفوذ الدولة الميروفنجية والسيطرة على غالة بأسرها.
- أصبح الوضع السياسي في غالة يشهد تهديدًا خطيرًا من توسع المسلمين، مما يجعل المعارك القادمة حاسمة في تحديد مصير الغزو الإسلامي.
- حملات عبد الرحمن الغافقي تؤسس لبداية الصراع الكبير الذي سينتهي بمعركة بلاط الشهداء، واحدة من أشهر معارك الغزوات الإسلامية.
- بعد انتصار العرب في أكيثانيا، شعر شارل مارتل أن هذا الانتصار يمثل تهديدًا لسلامة الدولة الميروفنجية ويقترب من بلاده.
- قرر شارل مارتل الرد على هذا التوسع العربي، خاصة بعد استكمال **عبد الرحمن الغافقي** لمسيرة فتوحاته، حيث وصل إلى الرون وفتح برجنديا وليون، وواصل تقدمه حتى سانس، التي تبعد مائة ميل عن باريس.
- وجد شارل مارتل في ذلك فرصة عظيمة:
 - القضاء على منافسيه في الداخل.
 - تأكيد سلطانه على كل أقاليم غالة.
 - جمع نصارى تلك الأصقاع تحت زعامته وإظهار نفسه كحامي للنصرانية من خطر التوسع الإسلامي.
- استدعى شارل مارتل المقاتلين من أماكن مختلفة، خصوصاً من **الجرمان** في وادي الراين وأراضي **جرمانيا** المعروفة بروحها القتالية، لصد الزحف العربي.
- **التقى الجيشان** في رمضان سنة 114 هـ / 732م بين **تور و بواتيه** في معركة عنيفة دامت **سبعة أيام**.
 - في البداية، انتصر العرب وجمعوا غنائم كثيرة.
 - بعدها، **هاجم دوق أكيثانيا** مؤخرة الجيش العربي حيث كانت الغنائم، مما أدى إلى اختلال توازن الجيش العربي وهزيمتهم.
 - **استشهد عبد الرحمن الغافقي** وعدد كبير من رجاله، وانسحب الباقيون.
- **تسمية المعركة:**
 - في المصادر العربية، سميت **بلاط الشهداء**، نسبة إلى **طريق روماني قديم** دارت فيه المعركة أو لكثرة من استشهدوا فيها من أكابر المسلمين.
 - في المصادر الأوروبية، سميت **معركة تور أو تور بواتيه**.
- **تداعيات الهزيمة:**

- توقفت موجة الفتح الخارجي بعد الهزيمة، رغم محاولات قام بها بعض ولاة الأندلس مثل عبد الملك بن قطن الفهري و عقبة بن الحجاج السلولي.
- السبب في توقف الغزوات لم يكن الهزيمة بحد ذاتها، بل بسبب الفتن والاضطرابات الداخلية في المغرب والأندلس.
- هذه الاضطرابات شجعت شارل مارتل على استرداد الأراضي التي أخذها المسلمون من ما وراء البرتات.
- بعد شارل مارتل، حفيده شارلمان تابع الزحف جنوباً عبر البرتات، واستولى على منطقة قطلونيا في شمال شرق إسبانيا على شاطئ البحر المتوسط، وأنشأ فيها ثغراً حربياً باسم ماركا هيسبانيكا لحماية حدوده الجنوبية.

ثانياً : الفتن والحروب الداخلية في المغرب والأندلس

- الحروب التي دارت في شبه الجزيرة الأيبيرية تميزت بطابع سياسي وعنصري بسبب سياسة الدولة الأموية التي كانت تفضل الجنس العربي على باقي العناصر الأخرى، مما أدى إلى تمييز واضح في المعاملة.
- رغم أن البربر هم الذين ساهموا بشكل كبير في فتح شبه الجزيرة الأيبيرية من خلال إرشاد العرب إلى البلاد وطرقها، إلا أنهم تعرضوا للتمييز والظلم.
- في البداية، كان أغلب قادة الحملات والجنود من البربر، لكنهم في النهاية حرموا من المساواة مع العرب، خاصة في الجانب السياسي والاجتماعي.
- العرب سيطروا على الإدارة والحكم، بينما بقي البربر مجرد جنود في الغزوات، وكان الكثير من الجنود الذين رافقوا عبد الرحمن الغافقي في حملته الشهيرة إلى غالة واستشهدوا في معركة بلاط الشهداء من البربر.
- على الصعيد الاقتصادي، كان التمييز أكثر وضوحاً:
- العرب استحوذوا على الأراضي الخصبة والسهول الخضراء والأحواض المائية الكبيرة.
- بينما البربر تم توجيههم إلى مناطق الطبيعة الجافة والهضاب ذات المياه القليلة والمناطق الباردة في الشمال، بالإضافة إلى مواجهتهم مقاومة من بقايا النفوذ القوطي الإسباني.
- هذا الوضع دفع البربر إلى التمرد واعتبار العرب يعاملونهم معاملة السيد للعبد. فكان انتشار مذهب الخوارج في ذلك الوقت جزءاً من الرد على هذه المعاملة، حيث كان هذا المذهب يرفض حصر الخلافة في بيت معين أو جنس معين، بل يتيح لأي شخص تختاره الأمة مهما كان وضعه الاجتماعي، وهذا المذهب لاقى قبولاً كبيراً بين قبائل البربر.
- في سنة 122هـ / 740م، قاد ميسرة المطغري الزناتي (المعروف بلقب "الحقير" أو "الحقور") ثورة عامة في المغرب الأقصى ضد سياسة الأمويين.
- كان ميسرة قد اعتنق مبادئ الخوارج الصفرية في القيروان ونشرها بين قومه في إقليم طنجة.
- بعد أن زار دمشق ليعرض شكواه على الخليفة هشام بن عبد الملك، وعاد بدون مقابلته، قرر الثورة ضد الأمويين.
- في معركة حاسمة في أحواز طنجة سنة 122هـ، هزم ميسرة جيوش الأمويين، وتمكن من بسط نفوذه على المغرب الأقصى.
- بعد انتصاره، ميسرة وقع في الغرور، وأعلن نفسه خليفة، وأساء التعامل مع جماعته، ما أدى إلى قتله من قبل أتباعه، الذين نصبوا خالد بن حميد الزناتي خلفاً له.
- بلج بن بشر القشيري ورفاقه استطاعوا هزيمة الجيوش العربية مرة أخرى بالقرب من طنجة في سنة 123هـ، وراح ضحية هذه الهزيمة عدد كبير من أشرف العرب، ولهذا سُميت المعركة بـ "غزوة الأشراف". هذا الهزيمة المتكررة جعلت الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في حالة غضب شديدة، فأرسل جيشاً كبيراً من عرب الشام بقيادة كلثوم بن عياض القشيري، وكان هذا الجيش يعرف باسم "الطالعة العربية الثانية" تمييزاً عن الطالعة الأولى التي قادها موسى بن نصير وكان معظمها من أهل الحجاز.
- عند وصول الجيش الشامي إلى المغرب، لم يلق ترحيباً من عرب الحجاز الذين استقروا في المنطقة منذ أيام الفتح الإسلامي. السبب في ذلك يعود إلى نقيمتهم على بني أمية بسبب ما تعرضوا له من اضطهاد في واقعة الحرة سنة 63هـ وثورة عبد الله

بن الزبير سنة 72هـ. ونتيجة لهذه المعاملة السيئة من الأمويين، قرر الحجازيون الرحيل إلى المغرب للانضمام إلى القادة الذين تولوا هناك مثل حسان بن النعمان وموسى بن نصير، حيث كانوا يأملون في استقرار بعيد عن ظلم الأمويين.

- ومع قدوم الجيش الشامي بقيادة كلثوم بن عياض القشيري، بدأ التوتر يظهر بين الحجازيين والبلديين الذين استقروا في المغرب والأندلس. البلديين هم العرب الذين اختلطوا بالبلاد الأصليين وأصبحوا جزءاً منهم. كانوا يخشون أن يحاول الجيش الشامي السيطرة على الأراضي التي استقروا فيها.
- نتيجة لهذا التوتر، تخلى الحجازيون عن إخوانهم في الجيش الشامي، مما أدى إلى هزيمته أمام البربر. في هذه المعركة، قُتل كلثوم بن عياض في مكان يسمى بقدره على ضفاف نهر سبو في نهاية سنة 123هـ.
- بعد الهزيمة، انسحب جيش الشام بقيادة بلج بن بشر القشيري إلى سبتة، حيث تحصنوا هناك. وكان عددهم حوالي 9,000 فارس من الشام وبعض الجنود من مصر. البربر فرضوا عليهم حصاراً شديداً، حتى كادوا يهلكون من الجوع.
- في تلك الأثناء، بلج بن بشر طلب المساعدة من عرب الأندلس للسماح لهم بالعبور إلى أراضيهم، لكن عبد الملك بن قطن الفهري، أمير الأندلس، رفض المساعدة. كان عبد الملك بن قطن من أهل المدينة المنورة وقد شارك في واقعة الحرة، لذلك كان يرفض إمداد الشاميين بالطعام، بل أراد لهم الموت جوعاً.
- لكن مع مرور الوقت، ثورات البربر في المغرب وصلت أخبارها إلى الأندلس، وانتشرت عدوى الثورة هناك أيضاً. فاندلعت ثورات عنيفة في الأندلس تأييداً لمطالب إخوانهم في المغرب. في هذه الظروف، اضطر عبد الملك بن قطن إلى الاستعانة بالقوة العسكرية للجيش الشامي المحاصر في سبتة، ووافق على السماح لهم بالعبور إلى الأندلس بشرط أن يشتركوا معه في إخماد الثورات البربرية ثم يعودوا إلى المغرب بعد الانتهاء من المهمة التي كانت محددة بسنة واحدة.
- وافق بلج بن بشر وأصحابه على هذه الشروط نظراً لسوء حالهم بسبب الحصار والجوع.
- وحدة ثوار البربر:
- ثوار البربر في الأندلس وحدوا صفوفهم وقسموا أنفسهم إلى ثلاثة جيوش:
 - جيش يهاجم طليطلة.
 - جيش يهاجم قرطبة.
 - جيش يتجه جنوباً للقضاء على قوة الشاميين في سبتة والاتصال ببربر المغرب.
- تحرك بلج بن بشر:
- بلج بن بشر عبر إلى الأندلس وعلم بخطة البربر.
- قرر محاربة الجيش الثالث البربري عند بلدة شذونة، وحقق انتصاراً كبيراً عليه.
- بعد ذلك انتصر على الجيش الثاني في قرطبة، ثم توجه مع الجيوش العربية الأخرى نحو طليطلة.
- على نهر التاجو، اصطدموا بتجمعات البربر الرئيسية وانتصروا، مما قضى على ثورة البربر.
- ثورة بلج بن بشر:
- بعد النصر، استمتع بلج وأصحابه بحلاوة النصر والطعام بعد معاناتهم في سبتة.
- طلب والي الأندلس عبد الملك بن قطن منهم العودة إلى المغرب حسب الاتفاق، لكنهم ثاروا وقتلوه وأقاموا بلج بن بشر مكانه.
- أثار ذلك غضب الحجازيين الذين قتلوا بدورهم بلج بن بشر، مما أدى إلى حروب عنيفة بين الطائفتين استمرت أكثر من عام.
- تعيين أبو الخطار بن ضرار الكلبى:

- في سنة 125 هـ / 743 م، تم تعيين أبو الخطار بن ضرار الكلبي والي على الأندلس.
- كان يمني الأصل ومن أعيان الشام.
- تمكن من معالجة الأمور بالاعتدال، وسوى بين جميع القبائل، ووزع جنود الشام على مختلف المدن الأندلسية لحد من قوتهم.
- **حروب العصبية القبلية:**
- رغم استقرار الأمور في البداية، نشبت حروب داخلية في الأندلس بين العصبية القبلية (اليمنية والمضرية).
- زعيم اليمنية كان أبو الخطار الكلبي، وزعيم المضرية كان الصميل بن حاتم.
- **سبب حرب العصبية:**
- وقع خلاف بين شخصين (أحدهما مضري والآخر يمني) فحكم الوالي لأحدهما.
- ظن المضري أن الحكم كان تعصباً ضد قبيلته، فذهب إلى الصميل بن حاتم واشتكى له.
- نشب جدال بين الصميل والوالي، وأهان الوالي الصميل، فخرج غاضباً مهتداً بالحرب.
- **حرب وادي الكبير:**
- قامت الحرب بين الجانبين على ضفاف الوادي الكبير.
- استمرت الحرب حتى تمكنت المضرية من هزيمة اليمنية في موقعة شقندة عام 130 هـ / 747 م.
- **عزل أبو الخطار:**
- بعد انتصار المضرية، تمكن الصميل من عزل أبو الخطار من ولاية الأندلس.
- تم تعيين يوسف الفهري محايداً بين عرب الشمال والجنوب، وهو ما أسهم في تهدئة الوضع.
- **ذكاء الصميل بن حاتم:**
- اختباره ليوسف الفهري كان خطوة ذكية، حيث أَرْضَى الفريقيين المتنازعين، بينما ظل هو الحاكم الفعلي في الأندلس.
-
- **سقطت الخلافة الأموية بدمشق سنة ١٣٢ هـ على يد العباسيين الذين بدأوا بمطاردة الأمويين.**
- **الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان نجح في الهروب من مذابح العباسيين.**
- **لجأ عبد الرحمن إلى قبيلة نفزة البربرية في المغرب الأقصى التي عملت على حمايته وإخفائه عن العباسيين وحلفائهم الأغلبية.**
- **فشلت محاولات عبد الرحمن في تأسيس ملك في المغرب، فحول اهتمامه نحو الأندلس التي كانت تمر بحروب أهلية بين اليمنية والمضرية.**
- **اعتمد عبد الرحمن على موالى بني أمية في الأندلس حيث كانوا يشكلون غالبية السكان هناك.**
- **عبد الرحمن بدأ رحلته إلى الأندلس عبر مصر وبرقة، ثم عبر المغرب ووصل إلى خواله نفزة في طرابلس.**
- **أرسل عبد الرحمن مولاه بدر إلى الأندلس ليمهد له الطريق.**
- **بدر عرض على زعيم المضرية الصميل بن حاتم مساعدته، لكن الصميل رفض خوفاً على نفوذه.**
- **بدر توجه إلى القبائل اليمنية التي رحبت بمساعدة عبد الرحمن لتحقيق الانتقام من المضرية.**
- **عبر عبد الرحمن مضيق جبل طارق في ربيع الثاني سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٥ م، وصل إلى ثغر المنكب على الساحل الجنوبي الشرقي للأندلس.**
- **استقبله زعيم موالى بني أمية، أبو عثمان عبيد الله بن عثمان، ثم انتقل إلى حصن طرش الذي كان مركزاً لموالى بني أمية.**
- **في حصن طرش بدأ عبد الرحمن بتجميع أنصاره من موالى بني أمية واليمنيين والبربر.**
- **دعمته عدة مدن في الأندلس، وتجمع حوله العديد من المؤيدين.**
- **بدأ عبد الرحمن يواجه معارضيه بقيادة الوالي يوسف الفهري والصميل بن حاتم.**
- **استخدم عبد الرحمن الحيلة مع معارضيه وأظهر لهم أنه يريد الصلح خصوصاً مع قرب عيد الأضحى.**

- وافق الصميل ويوسف على الصلح، ولكن عبد الرحمن أعلن أنه لا صلح إلا بعد أن يصبح أميراً على الأندلس لأنه من سلالة الأمويين.

معركة المصارة

- عبد الرحمن بن معاوية قاد جيوشه إلى قرطبة بعد أن ازداد عدد مؤيديه، وحدث صدام مع يوسف الفهري والسميل بن حاتم عند الوادي الكبير.
- دارت معركة المصارة (المعروفة في المراجع الإسبانية باسم ألاميدا Alameda) في ذي الحجة عام ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م.
- انتصر عبد الرحمن في المعركة، وفر يوسف الفهري هارباً، بينما دخل قرطبة وبويع أميراً على الأندلس.
- أبقى عبد الرحمن قرطبة عاصمة له، في حين كانت محاولات يوسف الفهري والسميل لمعارضته انتهت بموتهم.
- لقب عبد الرحمن بن معاوية بـ "الداخل" لأنه كان أول من دخل الأندلس من بني أمية حاكماً.
- بدأ عهد جديد في الأندلس يعرف بـ عصر الإمارة، حيث كان الحكام يتلقبون بلقب "أمير".
- عبد الرحمن الأول هو أول من حمل هذا اللقب، وتلاه عبد الرحمن الثاني (الأوسط) وعبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله).
- أبو جعفر المنصور لقب عبد الرحمن بـ "صقر قریش" لبراعته وقوة شخصيته في توليه الحكم بعد هروبه من العباسيين.
- هكذا أصبح عبد الرحمن، الأمير المغامر الذي بعث مجد الأمويين في الأندلس، وأقام إمارة استمرت نحو قرنين قبل أن تتحول إلى خلافة أموية جديدة في الغرب.

الفصل الثالث

عصر الإمارة بالأندلس ١٣٨ - ٣١٦ هـ / ٧٥٦ - ٩٢٩ م

- أولاً: عبد الرحمن بن معاوية الداخل ١٣٨-١٧٢ هـ
- ثانياً: هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل ١٧٢ - ١٨٠ هـ
- ثالثاً: الحكم بن هشام بن عبد الرحمن "الربضي" ١٨٠ - ٢٠٦ هـ
- رابعاً: عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأوسط ٢٠٦ - ٢٣٨ هـ
- خامساً: عصر دويلات الطوائف الأولى ٢٣٨ - ٥٣٠٠ / ٨٥٢-٩١٢ م
- محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ٢٣٨-٢٧٣ هـ
 - المنذر بن محمد ٢٧٣-٢٥٧ هـ
 - عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ

عصر الإمارة في الأندلس بدأ في سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٥ م عندما تمكن عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) من تحقيق هدفه السياسي واستيلائه على السلطة بعد هروبه من مذابح العباسيين. بدأ بذلك عهد جديد في الأندلس يُعرف بعصر الإمارة، حيث كانت قرطبة عاصمة لحكمه.

استمر هذا العصر حتى سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٩ م، حيث أعلن عبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله) الخلافة في الأندلس ولقب نفسه بـ "أمير المؤمنين"، وهو ما يعني انتقال الأندلس من مرحلة الإمارة إلى مرحلة الخلافة، ما مثل ذروة القوة والنفوذ في تاريخ الأندلس.

أولاً: الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل ١٣٨ - ١٧٢ هـ / ٧٥٦-٧٨٨ م

- في عصر الولاة، نجح المسلمون في نشر الإسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية، لكنهم لم يستطيعوا بناء دولة إسلامية مستقرة بسبب الصراعات القبلية والعنصرية.

- عبد الرحمن بن معاوية، المعروف بالداخل، كان يدرك أنه يواجه تحديات كبيرة في إقامة دولة أموية ثابتة ومستقرة في الأندلس لضمان بقاء الإسلام في تلك الأرض.
- عبد الرحمن لم يكن يعرف تفاصيل أوضاع الأندلس السكانية والسياسية والاقتصادية، وكان يعتمد بشكل أساسي على ولاء بني أمية الذين لم يكونوا الأكثر نفوذاً في المنطقة.
- كان من الصعب عليه الاعتماد على العصبية العربية مثل القيسية واليمينية بسبب النزاعات الداخلية التي تسببت في الحرب الأهلية.
- في بداية حكمه، اتبع عبد الرحمن سياسة حكيمة تجاه الدولة العباسية بعدم إعلان انفصاله عنها فوراً، حيث دعا للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور لمدة أشهر، ثم قطع الداء وأعلن استقلال الأندلس عن الخلافة العباسية.
- بعد إعلان الاستقلال، أصبحت الأندلس دولة إسلامية مستقلة، لكن محاولات العباسيين لإعادتها إلى سيطرتهم لم تحقق النجاح.
- رغم الاستقلال عن العباسيين، لم يلقب عبد الرحمن الداخل نفسه بـ "الخليفة"، بل أضاف إلى اسمه لقب "ابن الخلائف"، لأن الأمويين في تلك الفترة كانوا يعتقدون أن الخلافة واحدة فقط، وأن الخليفة الشرعي هو من يسيطر على الحجاز (وهو الخليفة العباسي وقتها).

سياسة عبد الرحمن الداخل الداخلية

- إدراكاً لوضعه الصعب، جعل **عبد الرحمن الداخل** أحلامه السياسية أكثر واقعية، حيث لم يسعى لفتوحات أو توسعات خارجية وركز على الحفاظ على مواقع المسلمين في بلاد الغال، معتبراً الدفاع هدفه الأساسي.
- كان تركيز **عبد الرحمن الأكبر** على إقامة دولة أموية ثابتة في الأندلس، فقام بإحلال سلطة الإمارة بدلاً من نفوذ القبائل، وحرم رجال القبائل من الصلاحيات التي تمتعوا بها في عصر الولاة.
- سعى **عبد الرحمن** لتحقيق السلام الداخلي في الأندلس، فعمل على توحيد البلاد تحت لواء واحد، وفتحها أمام الأمويين ومواليهم القادمين، مما أدى إلى ظهور أرستقراطية قرشية جديدة في الأندلس.
- منح **عبد الرحمن** الأرستقراطية القرشية سلطات واسعة، وأعفاهم من الضرائب وقدم لهم الأموال. كما أرسل بعثة إلى المشرق بقيادة القاضي معاوية بن صالح للبحث عن بقايا بني أمية ومواليهم وتحفيزهم للقدوم إلى الأندلس.
- أسس **عبد الرحمن** طبقة ممتازة من هؤلاء الوافدين الجدد التي كانت تساعده في إدارة دولته.
- حكم **عبد الرحمن** لمدة 33 عاماً، قضاها في صراع مستمر مع الأحزاب المعارضة والطامحين للسلطان. كان يواجه خصومه بشكل منفرد ويقضي عليهم قبل أن يتمكنوا من التكتل ضده.
- من أول المعارضين لإمارة **عبد الرحمن** كان **يوسف الفهري** و**الصميل بن حاتم**، الذين حاولوا استعادة نفوذهم في البلاد رغم سياسة التسامح التي اتبعها **عبد الرحمن** معهم.
- في عام 142 هـ / 759 م، أعلن **يوسف الفهري** العصيان بدعم من **الصميل بن حاتم**، وفر إلى ماردة حيث جمع جيشاً كبيراً لغزو قرطبة. خرج **عبد الرحمن** لملاقاته، وقام باعتقال **الصميل** بتهمة التآمر ضده.
- انتهى هذا الصراع بهزيمة **يوسف الفهري**، وفراره وقتله على يد بعض أتباعه، بينما قضى **عبد الرحمن** على **الصميل بن حاتم** بقتله في سجنه.

ثورة العلاء بن مغيث الجذامي

- المشكلة الثانية التي واجهت عبد الرحمن الداخل كانت بتوجيه من الخلافة العباسية. حيث اعتقد عبد الرحمن أن القضاء على القيسية وإخماد فتنتهم سيوفر له السلطة المطلقة في الأندلس، فبدأ في قطع الخطبة للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور على المنابر.
- هذا التصرف أثار استياء الخليفة المنصور الذي كان يطمح في استرداد الأندلس وإعادتها إلى الخلافة العباسية كما كانت في السابق. فوافق على خطة مع العلاء بن مغيث الجذامي، وهو زعيم عربي من باجة في غرب الأندلس (جنوب البرتغال حالياً)، ووعده بإمارة الأندلس إذا تمكن من انتزاعها من عبد الرحمن.
- بدأ العلاء بن مغيث يدعو سراً إلى طاعة الخليفة المنصور في سنة 146هـ / 763م، وتمكن من جمع العديد من العناصر المعارضة لـ عبد الرحمن، خاصة القبائل اليمنية التي كانت قد ساعدت عبد الرحمن في بداية حكمه.
- السبب في انقلاب القبائل اليمنية ضد عبد الرحمن هو أنهم لم يحصلوا على النفوذ والسلطان الذي كانوا يتوقعونه من مساعدتهم له في كفاحه مع المضرية، وهو ما جعلهم ينقلبون عليه.
- عندما اشتد الاستياء في صفوف اليمنية، انضموا إلى العلاء بن مغيث ضد عبد الرحمن، الذي في المقابل لم يرض أن يكون أداة طيعة في أيديهم، مما زاد من غضبهم.
- في سنة 147هـ، قام العلاء بثورته في مدينة باجة ورفع أعلام العباسيين السوداء، فتوجه عبد الرحمن لمحاربته. ورغم ذلك، تمكن العلاء من هزيمة عبد الرحمن، وحاصره في مدينة قرمونة شرقي أشبيلية لمدة شهرين.
- في مواجهة هذا الحصار، جمع عبد الرحمن جنوده وأشعل ناراً عظيمة، ثم قال لهم: "أما أماننا الآن طريقان إما النصر أو الموت، فاخرجوا معي خروج من لا يحدث نفسه بالرجوع!"، ثم رمى بسيفه في النار، مما أشعل حماسة جنوده الذين بلغ عددهم 700.
- اندفع الجنود خلف عبد الرحمن في هجوم خاطف، وتمكنوا من اختراق الحصار وشن هجوم على الجيش المحاصر، مما أسفر عن هزيمة العلاء وقتل قائده وعدد كبير من جنوده.
- بعد المعركة، تم طواف رأس العلاء بين الناس، وأمر عبد الرحمن بحشوه بالملح والكافور لحفظه، ثم وضعه في قفة مع السجل واللواء العباسي، وأرسله مع بعض الحجاج الأندلسيين.
- عندما حج الخليفة المنصور في نفس السنة، وضع الحجاج القفة أمام باب خيمته، وعندما رأى المنصور رأس العلاء، قال: "الحمد لله الذي جعل بيننا وبين هذا الشيطان بحراً".

ثورة البربر

- في الوقت الذي كان فيه عبد الرحمن الداخل يصارع العصبية العربية لإخضاعها، انفجر بوجهه تمرد عنيف من عناصر البربر، الذين كانوا في البداية أعواناً له في إقامة دولته في قرطبة.
- البربر أبدوا معارضة لعبد الرحمن عندما تأكدوا أنه لن يعطيهم المكاسب والمنافع التي كانوا يتوقعونها، خاصة بعد عدم انتقامه من خصومهم.
- في سنة 152هـ / 769م، قاد شقيقا بن عبد الواحد الكناسي (الذي ادعى نسباً شريفاً يعود إلى الحسن بن علي) تمرداً بربرياً في الأندلس، وسمي نفسه عبد الله بن محمد واشتهر بـ الكناسي.
- الكناسي حاول منح حركته طابعاً عقائدياً بإدعائه الانتساب إلى آل البيت، مما جعل ثورته مقبولة لدى بعض المسلمين العرب.

- بدأ **المكناسي** دعوته في مناطق شرق الأندلس، حيث يكثر العنصر البربري، ثم سار إلى **شنت برية** فقتل عاملها واتخذها قاعدة لحركته، ثم استولى على **مدينة ماردة ومنطقة قورية**.
- **عبد الرحمن الداخل** خرج عدة مرات لقتال **المكناسي** وأرسل له عدة جيوش، لكنه لم يتمكن من القضاء على التمرد بسبب الخبرة الجغرافية للمكناسي في دروب الأندلس.
- كان **المكناسي** يتحاشى المعارك الكبيرة في الأراضي المكشوفة ويرفض حرب المدن، مما كان يصعب مهمة عبد الرحمن في القضاء على التمرد.
- استمر التمرد البربري لمدة عشر سنوات، حتى تمكن اثنان من أعوان **المكناسي** من قتله في سنة 160 هـ / 776م، وأحضرا رأسه إلى **عبد الرحمن في قرطبة**.
- انتهت الثورة البربرية التي كانت قد أشاعت الفساد وعدم الاستقرار في مناطق واسعة من الأندلس.
- الثورة البربرية تعتبر أول محاولة لإقامة **دولة شيعية في المغرب الإسلامي**، حيث سبقت دولة **الأدارسة العلويين** في المغرب الأقصى بحوالي عشرين سنة.
- واجه **عبد الرحمن الداخل** معارضة أيضاً من أحد أفراد أسرته، حيث دبر **المغيرة بن الوليد بن معاوية** (أحد أولاد أخيه) مؤامرة لعزل عبد الرحمن في سنة 168 هـ، واشترك معه في هذه المؤامرة **هذيل (ابن الصميل بن حاتم)**.
- اكتشف **عبد الرحمن** المؤامرة وقتل جميع أفرادها.

هجوم شارلمان على الأندلس

- كان **الفرنج** قوة قريبة من **الأندلس** ويتخوفون من الدولة النامية فيها، خاصة بعد أن أصبح **عبد الرحمن الداخل** حاكماً للأندلس وقضى على جميع المقاومة.
- سياسة **الفرنج** تجاه الأندلس كانت عدائية منذ سنوات قبل **عبد الرحمن الداخل**، حيث سعت إلى إضعاف الدولة الأموية في الأندلس عبر تحريض العصاة ودعمهم، وأحياناً عبر إنشاء مستعمرات في الشمال الأندلسي.
- دُبرت مؤامرة دولية ضد **عبد الرحمن الداخل** للقضاء عليه، حيث شارك فيها **شارلمان** ملك **الفرنج** الذي كان يسعى إلى تأمين حدوده الجنوبية وتحقيق مشروع إحياء **الإمبراطورية الرومانية**.
- الدولة العباسية كانت تخشى من قوة الأندلس، مما دفع **المهدي** و**شارلمان** إلى التعاون ضد **عبد الرحمن الداخل**. حيث كان **سليمان بن يقظان** حاكم **سرقسطة** على خلاف مع عبد الرحمن واتفقت مع **شارلمان** للغزو.
- الخطة كانت أن يعبر **شارلمان** بجيوشه جبال **البرتات** نحو **سرقسطة** ويسلمها له **سليمان**، في حين يهاجم **عبد الرحمن بن حبيب الفهري** من **المغرب** مدينة **تدمير (مرسية)** في الساحل الشرقي للأندلس.
- الخطة كانت صعبة التنفيذ بسبب التحديات الجغرافية واللوجستية في نقل الجيوش عبر الجبال والأراضي الوعرة.
- **عبد الرحمن بن حبيب الفهري** نزل في **تدمير (مرسية)** عام 160 هـ / 777م، ولكنه وصل قبل **شارلمان**، فتمكن **عبد الرحمن الداخل** من قتله وحرق أسطوله.
- بعد ذلك، **شارلمان** عبر **البرتات** في سنة 161 هـ / 778م متجهاً إلى **سرقسطة**، ولكن أهالي المدينة رفضوا تسليمها له وقادوا ثورة ضد **شارلمان** بقيادة **الحسين بن يحيى الأنصاري**، مما دفعه إلى رفع الحصار والعودة.
- **شارلمان** أخذ **سليمان بن يقظان** كأسير حرب بعد أن اكتشف خداعه من قبل الحاكم الأندلسي.
- من أسباب عودة **شارلمان** أيضاً أن القبائل الجرمانية - السكسونية - ارتدت عن **النصرانية** وعودة إلى ديانتها الوثنية.
- فشل **المؤامرة والعباسيين** في استرجاع الأندلس، و**عبد الرحمن الداخل** استطاع الاستيلاء على **سرقسطة**، وبالتالي فشلت خطة المتآمرين.

حصارة الأندلس في عهد عبد الرحمن الداخل

- بعد **الفتح العربي في الأندلس**، حصل اختلاط بين العرب والبربر المسلمين مع سكان **البلاد الأصليين** من القوط والأسبان واليهود، مما أدى إلى نشوء **طبقة المولدين**، وهي طبقة جديدة من تزواج العرب والبربر بالأسبان.
- أما أهل إسبانيا الذين تعلموا اللغة العربية فكانوا يُسمون **المستعربين**.

- الثقافة الإسلامية بدأت تتوافد على الأندلس من الوطن الأم مع المهاجرين الجدد، مما أدى إلى امتزاج الثقافات بين طبقات أهل الأندلس وذبوع الثقافة الإسلامية بين هذه الطبقات، وكان لهذا أثر كبير في حضارة أوروبا بشكل عام.
- عبد الرحمن الداخل اختار قرطبة لتكون عاصمة دائمة للدولة الأموية في الأندلس، بعدما كانت قاعدة الحكم تنتقل بين أشبيلية و قرطبة.
- اهتم عبد الرحمن الداخل بـ قرطبة وعمل على جعلها صورة من دمشق، فحصنها وزينها بالمنشآت الفخمة والحدائق، كما كان يرسل عملاءه إلى المشرق لجلب أشجار الفاكهة من الشام.
- في شمال غرب قرطبة، بنى عبد الرحمن الداخل قصرًا صيفيًا على سفح جبل قرطبة وسماه قصر الرصافة، محاكيًا بذلك قصر جده هشام بن عبد الملك الذي بناه في بادية الشام.
- أمراء بني أمية في الأندلس ساروا على نهج عبد الرحمن الداخل في بناء القصور الخلوية، مثل قصر عبد الله في بلنسية الذي أطلق عليه نفس الاسم الرصافة، ولا يزال هذا القصر موجودًا في بلنسية ويسمى **La Ruzafa**.
- أما في مجال العمران، فقد قام عبد الرحمن الداخل ببناء المسجد الجامع في قرطبة على موقع كنيسة قوطية قديمة، والتي استملكتها من نصارى المدينة مقابل مائة ألف دينار ذهبي. كان الهدف من هذا المسجد هو تقليد المسجد الأموي في دمشق، فاستورد أفضل المهندسين وجلب الرخام الممتاز والأعمدة الفخمة من أنحاء الأندلس وغيرها.
- لكن عبد الرحمن الداخل توفي قبل أن ينتهي بناء المسجد الجامع، وتولى ابنه هشام إتمامه. على صعيد التنظيم العسكري، عبد الرحمن الداخل كان قد لاحظ أن الجنود المسلمين في الأندلس كانوا دومًا ولاءهم عصبياً، سواء للعرب أو البربر أو زعمائهم قبل الدولة والحاكم. وبسبب عدم تمكنه من الاعتماد على حزب أو عصبية معينة يثق فيها، قرر تكوين جيش دائم ومنظم يكون ولاؤه للدولة وحاكمها فقط.
- كان من الصعب تكوين هذا الجيش من عرب الأندلس أو بربرهم بسبب العصبية الداخلية، لذا لجأ إلى المرتزقة من البربر الشجعان الذين جاءوا به من المغرب بعيداً عن حساسيات الأندلس، وكانوا يدينون له بالولاء لأنه مصدر رزقهم ودافع رواتبهم.
- كما استقدم أسرى الصقالبة الأوروبيين المشهورين بالقوة والشجاعة، وضم إلى جيشه أيضاً جنوداً من أبناء البلاد الأصليين الذين أسلموا أو الذين بقوا على نصرانيتهم.
- بهذا الشكل، أنشأ جيشاً قوياً وصل عدد أفرادها حسب بعض الروايات المعاصرة إلى أكثر من أربعين ألف جندي. كما قام بتأسيس قواعد بحرية لبناء السفن في عدة موانئ بالأندلس.
- الحياة الدينية في الأندلس في هذه الفترة تأثرت بـ الشام، حيث بدأ الأندلسيون يتبعون في البداية مذهب عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، الذي كان له اهتمام خاص بالتشريعات الحربية والجهاد، وهو ما كان يتناسب مع الظروف الحربية التي كان يمر بها الأندلس.
- القاضي أسد بن عبد الرحمن السبائي كان أول من نقل مذهب الأوزاعي إلى الأندلس، بينما ذكر ابن حزم أن صعصة بن سلام الشامي كان قد نقل المذهب أيضاً.
- عبد الرحمن الداخل استطاع، رغم أنه جاء شاباً شريفاً بدون جيش أو مال أو عصبية، أن يحقق ما لم يكن ممكناً، فبذكائه وحسن سياسته وشجاعته تمكن من الوصول إلى الحكم، وتأسيس دولة مستقلة في الأندلس بعد أن كانت ولاية تابعة لخلافة المشرق.

- توفي عبد الرحمن الداخل سنة 172 هـ / 788م في سن الستين تقريباً، ودفن في الروضة من قصر الإمارة في قرطبة.

هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل ١٧٢ - ١٨٠ هـ / ٧٨٩-٧٩٦م

- عبد الرحمن الداخل ترك أكثر من عشرة أبناء، نخص بالذكر منهم سليمان، هشام، وعبد الله:
 - سليمان كان أكبر أبناء عبد الرحمن وُلد في الشام وكان يحكم طليطلة في ولاية أبيه. كان يحظى بمحبة أهل الشام.
 - عبد الله كان يحكم بلنسية في عهد أبيه.
 - هشام، الذي وُلد في إسبانيا من جارية أسبانية اسمها حلال، كان حاكماً على ماردة في عهد أبيه، ويمثل الحزب الأندلسي من المولدين. كان معروفاً بالورع والتقوى والتواضع وحب الخير.
- وصية عبد الرحمن لابنه عبد الله كانت غامضة، حيث أوصاه بتسليم الحكم لمن يدخل قرطبة أولاً من بين سليمان وهشام. فقال: "إن سبق إليك هشام فارم إليه الخاتم، فله فضل دينه، واجتماع الكلمة عليه، وإن سبق إليك سليمان فله فضل سنه ونجدته وحب الشاميين له."
 - هشام وصل أولاً إلى قرطبة وولى الخلافة.
 - لكن سليمان لم يعترف بهشام، ودعا لنفسه في طليطلة وما حولها، فبدأت ثورة الأخوين ضد هشام. عبد الله انضم إلى أخيه سليمان وقاما بثورة ضد هشام، ولحق بهما الكثير من أهل الشام.
 - سليمان هاجم قرطبة، لكن الجند ردوه، ففر إلى ماردة ثم إلى بلنسية، حيث حاول إحداث فوضى، ولكن محاولاته باءت بالفشل.
 - في النهاية، عبد الله طلب العفو من هشام، فعفا عنهما على أن يعبر كلاهما مع أهلها إلى المغرب، حيث انتهت ثورة الأخوين سنة 174 هـ / 790م.
- هشام بن عبد الرحمن تمكن من التصدي لكل محاولات المعارضة، وقام بحروب عديدة ضد أعدائه:
 - بعد القضاء على ثورة الأخوين، قام بإخضاع ثورتين يمينيتين في سرقسطة وبرشلونة:
 - الأولى كانت بقيادة سعيد بن الحسين الأنصاري.
 - الثانية بقيادة مطروح بن سليمان بن يقظان.
 - سحق هشام الثورتين بجيشين قويين.
 - كما شن عدة حملات على جموع البربر النائرة في رندة أو تاركنا سنة 178 هـ، حيث شنت جموعهم وأرغمهم على الطاعة والولاء.

الموقف من النصارى

بعد ما قهر هشام الفتن الداخلية في دولته، قرر تأديب نصارى الشمال الذين استخدموا العنف واستغلوا فترة موت عبد الرحمن وما تلاها من فوضى وقتن. كان للنصارى جبهتين تقاوم الحكم الإسلامي في إسبانيا:

- جبهة شرقية: منطقة القلاع التي أصبحت فيما بعد قشتالة.
 - جبهة غربية: منطقة جليقية.
- وكانت الفرنجة والبشكنس يشجعون هذه الحركات ضد الحكم الإسلامي. فقام هشام بإرسال الجيوش، التي اخترقت قلاع قشتالة وأغوار جليقية، وتمكنوا من هزيمة برمودو الأول ملك جليقية، المعروف بالشماس أو الراهب، على يد عبيد الله بن عثمان في سنة 175 هـ / 791م. وواصل المسلمون غاراتهم على جليقية حتى تنازل الملك عن عرشه لابنه ألفونسو الثاني.
- في سنة 179 هـ / 795م، أرسل هشام حملة أخرى إلى جليقية بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث، حيث اخترق المسلمون مغاور جليقية، مما جعل السكان يفرون إلى رؤوس الجبال. دارت معركة عنيفة بين ألفونسو الثاني ملك جليقية

والقائد المسلم، وانتهت بفوز المسلمين وهزيمة الجلائقة، مما مكنهم من غنائم كثيرة وأعاد الهدوء والطاعة للولايات الشمالية.

- لم يكتفِ هشام بذلك، بل قرر إعادة عهد الجهاد، فأرسل حملات صيفية على ولاية سبتمانيا الفرنجية في جنوب فرنسا، وغنم منها الكثير من الأموال التي مكنته من بناء عدة مساجد على شاطئ الوادي الكبير، وتوسيع مسجد قرطبة الذي أسسه والده. كما قام بإعادة بناء الجسر القديم الذي يربط قرطبة بأراضيها الجنوبية، وأصبح يُعرف بـ جسر قرطبة.
- المؤرخ الفرنسي رينو ذكر أن هشام كان يسعى لتوجيه المسلمين نحو الجهاد بدلاً من القتال الداخلي، لكي يوحدتهم بشرف الجهاد ويشغلهم عن الفتن والاضطرابات. كما أراد أن يثبت قوة المسلمين أمام نصارى الشمال ويعوض ما فقده من أراضٍ نتيجة غزوات بيبين وشارلمان.
- أصدر هشام منشوراً في الجوامع دعا فيه الناس إلى الجهاد إما بالمال أو بالنفس، وقد لقيت دعوته قبولاً حماسياً، حيث تجمع لديه مائة ألف مقاتل وأموال كبيرة، فتم إرسال الحملات إلى الشمال وإلى جنوب فرنسا.

انتشار المذهب المالكي في الأندلس

في عهد هشام الرضا، انتشر مذهب الإمام مالك في الأندلس، وكان هذا المذهب يُعتبر من المذاهب الرئيسية في الفقه الإسلامي، بجانب مذهب الحنفي والشافعي والحنبلي. لكل مذهب انتشار في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي حسب الظروف السياسية والثقافية، فالمذهب الحنفي انتشر في العراق لأن مؤسسه أبو حنيفة كان عراقياً، لكنه لم ينتشر في الأندلس بسبب ارتباطه بالحكم العباسي المعادي للحكم الأموي في الأندلس. بينما انتشر المذهب المالكي في الأندلس بشكل كبير، وذلك لعدة أسباب:

1. توافق مذهب مالك مع سياسة هشام: كان الإمام مالك معاصراً له هشام الرضا وكان يثني على توجهاته الدينية والفقهية، حيث كان هشام يُعرف بتقواه وورعه واهتمامه بتطبيق أحكام الإسلام بدقة وأمانة.
2. معارضة مالك للعباسيين: كان الإمام مالك يعارض سياسات العباسيين، وهذا ما جعله يتوافق أكثر مع سياسات هشام الأموي.
3. الهجرة من الحجاز إلى الأندلس: الفقهاء الحجازيون الذين حملوا مذهب مالك معهم عند هجرتهم إلى الأندلس كان لهم دور كبير في نشر هذا المذهب. وزياد بن عبد الرحمن (الملقب بـ "شبطون") ويحيى بن يحيى الليثي (الذي لقبه مالك بـ "عقل الأندلس") كانا من أبرز علماء هذا المذهب الذين نشروا تعاليمه في الأندلس.

مذهب مالك حل محل المذهب الأوزاعي في الأندلس، حيث كان الأوزاعي هو المذهب المنتشر في البداية بسبب تأثير أهل الشام في الفتوح. لكن مع مرور الوقت، أصبح المذهب المالكي هو السائد.

اهتمام هشام باللغة العربية:

اهتم هشام بنشر اللغة العربية في الأندلس، حتى أنها أصبحت تُدرس في مدارس اليهود. كان يولي اهتماماً خاصاً بالتعليم ونشر الثقافة العربية بين مختلف فئات الشعب.

عناية هشام بالشعب:

كان هشام يتجول في شوارع قرطبة للاطلاع على أحوال الناس، وكان يختلط بالرعية ويستمع إلى مطالبهم. كان يولي اهتماماً خاصاً للمظالم، ويتدخل بنفسه لحل المشكلات. كما كان يُشيع جنازات الموتى، ويهتم بمشاعر الناس في المناسبات الاجتماعية.

العناية بالزكاة:

أولى هشام اهتمامًا خاصًا بجمع الزكاة وتوزيعها على مستحقيها، وكان يرسل رجاله الموثوق بهم إلى كور الأندلس ومدنها للتحقق من أحوال الناس وسيرة عماله فيهم. إذا علم أن أحدهم أسرف في معاملة الرعية، كان يعزله على الفور.

تطوير قرطبة:

صرف هشام معظم وقته وجهده في تحسين الأندلس وتطويرها، فقام بتجميل مدينة قرطبة وتنميتها، وأضاف إليها مباني ضخمة وبساتين جميلة. كما جدد القنطرة التي بناها السموح بن مالك الخولاني، وعمل على إحكام بناءها حتى أصبحت مثالاً يحتذى به في إحكام البناء.

وفاة الأمير هشام

توفي هشام بن عبد الرحمن الداخل في 3 صفر سنة 180هـ ودفن في قصر قرطبة. كان يُعرف بأخلاقه وورعه، حيث كان ينفق أموالاً طائلة لاقتداء الأسرى حتى لم يبقَ منهم أحد في قبضة العدو. كان يتجول في شوارع قرطبة للاستماع لمشاكل الناس ومتابعة أحوالهم بنفسه، ويولي اهتمامًا خاصًا بتنفيذ العدالة.

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن "الريضي" ١٨٠ - ٢٠٦هـ / ٧٩٦ - ٨٢٢م

- الحكم بن هشام خلف والده هشام بن عبد الرحمن في الإمارة وكان عمره 26 سنة.
- ابن خلدون قال عنه إنه أول من جند الأجناد المرتزقة في الأندلس، وجمع الأسلحة والعدد، وبلغت أعداد المماليك 5000، وكان يسميهم "الخرس" لعجمتهم.
- كان طاغية شديد الوطأة على خصومه والخارجين عليه، وشُبه بالخليفة المنصور العباسي في شدة بأسه وحزمه وقوة عزمته.
- مكنته هذه الصفات من القضاء على الثورات والفتن التي هددت عرشه.
- أول خطر واجهه كان من أعمامه سليمان وعبد الله اللذين حاولا انتزاع الملك منه:
 - سليمان عبر إلى الأندلس بجيش من البربر والمرتزقة في 183هـ، ولكنه وقع أسيرًا وقتله الحكم في العام التالي، ودفن بجوار والده في قصر الإمارة.
 - عبد الله عبر إلى الأندلس وهاجم مناطق معادية مثل بلنسية وسرقسطة، ولكنه فشل واضطر إلى عقد صلح مع الحكم، حيث عفا عنه وأقام في بلنسية بمنحة معاش شهري قدره 1000 دينار.
- عبد الله تم إطلاق لقب "البلنسي" عليه بعد أن فرض عليه الحكم البقاء في بلنسية، كما استدعى أبناءه إلى العاصمة وزوجهم بناته.
- من أبناء عبد الله، عبيد الله برز في الحروب على المسيحيين في الشمال ولقب بـ صاحب الصوائف.
- الثورات التي قام بها المولدون (الذين ولدوا من آباء مسلمين وأمهات إسبانيات) في طليطلة وقرطبة:
 - المولدون، الذين كانوا خليطاً من دم العرب والبربر وأهل البلاد الأصليين، أصبحوا يشكلون الغالبية من السكان.
 - هؤلاء المولدون شعروا بنقص في الحقوق العامة، رغم كونهم أهالي البلاد الأصليين، وكانوا يتحملون عبء الضرائب دون نصيب في ثروات البلاد أو المناصب الرئيسية التي كانت حكرًا على الطبقة العربية الحاكمة.
- أخلاق الحكم بن هشام كانت على عكس والده هشام، فقد كان شابًا مرحًا مولعًا بالصيد والقتص وحفلات الرقص والغناء، وكان يقضي وقته مع الشعراء والندماء.
- الفقهاء ورجال الدين شعروا بأنهم فقدوا نفوذهم الذي كانوا يتمتعون به في عهد والده هشام، فازدادت العلاقات سوءًا بينه وبينهم.
- بدأوا في تحريض الناس ضده على منابر المساجد، واتهموه بالفسق والفجور، ولقبوه بالمخمور، وحرصوا على عزله.
- المولدون استجابوا لهذا التحريض، حيث كانوا يريدون تحسين أوضاعهم، فقاموا بثورتين كبيرتين.

○ الثورة الأولى:

- قامت في مدينة طليطلة (حاضرة القوط القديمة) وكان معظم أهلها من المولدين والمستعربين.
- الهدف كان الاستقلال عن سلطنة بني أمية في قرطبة.
- الشاعر غريب بن عبد الله الطليطلي كان يحث الناس على الثورة.
- خطة الحكم بن هشام:
- الحكم استعان بـ عمرو بن يوسف (من المولدين المخلصين له) كوالي للمدينة.
- كتب الحكم إلى أهل طليطلة قائلاً: "إني قد اخترت لكم فلاناً وهو منكم لتطمئن قلوبكم إليه".
- عمرو بن هشام تظاهر بكره بني أمية وأخذ يستميل أهل المدينة، ثم بنى قلعة جديدة خارج المدينة متظاهراً بأن الهدف منها هو إقامة الجند بعيداً عن الأهالي.
- وقعة الحفرة:

- عمرو بن هشام دبر مذبحة في القلعة حيث دعا أعيان المدينة ورؤسائها إلى وليمة بمناسبة مرور الأمير عبد الرحمن بن الحكم.
- ثم قام بقتلهم جميعاً ودفنهم في حفرة كبيرة أعدت لهذا الغرض.
- المذبحة كانت تسمى وقعة الحفرة، وتؤرخ في 181هـ/797م (أو 191هـ/807م حسب بعض المؤرخين).
- بهذه المذبحة، ضعفت مقاومة المدينة و خضعت لسلطان أمير قرطبة.

ثورة الربض

● الثورة في قرطبة:

- عام 202هـ/818م اندلعت ثورة الربض أو ثورة الفقهاء في الربض الجنوبي لقرطبة.
- كانت هذه الثورة مدفوعة من المولدون وبعض الفقهاء من أهل المدينة.
- الوضع في قرطبة:

- قرطبة كانت مدينة مزدهمة بالسكان منذ أيام الفينيقيين والرومان والقوط.
- بعد عبد الرحمن الداخل أصبحت قرطبة مركزاً مهماً، وجلبت جموعاً غفيرة من العرب والبربر.
- ابن هشام أعاد بناء الجسر الروماني ليربط المدينة برياضها الجنوبية، والذي أصبح يعرف بـ جسر قرطبة.
- بعد بناء الجسر، امتد العمران إلى الضفة الأخرى من النهر، حيث نشأ حي الربض الذي أصبح مأهولاً بالسكان.
- أسباب الثورة:

- السبب الرئيسي للثورة كان سوء وضع المولدين في الربض كطبقة اجتماعية.
- كما أن الاختلاط بين الفقهاء والمولدون في هذا الحي لعب دوراً في إنكاء الثورة.
- في عهد الحكم بن هشام، اختلفت معاملته للفقهاء عن والده هشام الذي كان يتقرب إليهم.
- الحكم أوقف نفوذ الفقهاء وأضعف سلطتهم، مما أثار نعتهم عليه.
- كان الحكم يرى أن الإسلام لا يعرف طبقة دينية مثل الفقهاء، فقام بإلغاء نفوذهم في عهده.
- الحرس من الزنوج:

- اختار الحكم حرساً خاصاً من الزنوج وأشباههم، الذين كانوا يعرفون بـ "الخرس" لأنهم لم يتحدثوا العربية.
- كانوا قساة ويكرهون العامة، بينما كانت العامة تكرههم بدورهم.
- في هذا الجو المشحون، كان الربض في موقف عدائي ضد الأمير وحرسه.

● المؤامرة ضد الأمير:

- فكر الفقهاء في عزل الأمير وتولية آخر، ولكن تم اكتشاف المؤامرة ووقع أقصى عقاب على مدبريها.
- زادت هذه الحادثة من التوتر والكراهية بين سكان الربض وبين الأمير.

● الحادث المباشر:

- سبب الثورة كان حادثاً بسيطاً: جندي من حرس الأمير ذهب إلى حداد في الربض لإصلاح سيفه، وتأخر في إصلاحه.
- نشب خلاف بينهما تطور إلى جدال عنيف، فقتل الجندي الحداد الذي كان من طبقة المولدين.
- هذا الحادث أثار غضب أهل الربض، فقتلوا الجندي، وأغلقوا المتاجر، واتجهوا إلى قصر الإمارة عبر الجسر، وحاصروه مطالبين بقتل الأمير.

● رد فعل الحكم:

- عندما وصلت الأخبار، استقبلها بهدوء وبرود وأمر خادمه بجلب زجاجة عطر ليتطيب بها.
- فزع الخادم من الطلب لأنه كان يتوقع أن يطلب سلاحاً، لكنه نفذ الأمر وأحضر له العطر، فسكب الحكم العطر على رأسه وقال: "من أين يعرف رأس الحكم من رأس غيره؟".
- هذا التصرف كان بمثابة إشارة إلى تصميمه على خوض المعركة.

● رد الفعل العسكري:

- أمر الحكم رئيس حرسه الخاص بالدفاع عن القصر.
- استدعى ابن عمه عبيد الله بن عبد الله البلنسي وأمره بشق طريقه إلى الربض وإشعال النار فيه.
- عبر الجنود المخاضة في النهر بسبب امتلاء الجسر بالثوار، وأشعلوا النار في الربض.
- الثوار هرعوا لإطفاء النيران، وبهذا أوقعت الجيوش بين الثوار نارين، مما أسفر عن قتل عدد كبير من الثوار.

● نتائج الثورة:

- بعد انتهاء المقاومة، أمر الحكم بهدم الربض وحرث أرضه وزراعتها.
- أمر الباقيين من سكان الربض بترك البلاد على الفور.
- بسبب قسوة الحكم في التعامل مع ثورة الربض، أصبح اسمه "الحكم الربضي".
- لم يجرؤ أي من خلفائه على بناء مبانٍ في هذه المنطقة حتى أواخر القرن الرابع الهجري تنفيذاً لوصية الحكم.

● مغادرة الربضيين للأندلس:

- بعد فشل ثورتهم، اضطر عدد كبير من الربضيين إلى مغادرة الأندلس.
- بعضهم عبر المضيق إلى المغرب واستقروا بين قبائل البربر في جبال الريف شمالي المغرب.
- في تلك الفترة، كان قد لجأ إلى المغرب المولى إدريس بن عبد الله، أحد أحفاد الإمام الحسن بن علي، هارباً من مذابح العباسيين في المشرق.
- استطاع المولى إدريس أن يؤسس في المغرب الأقصى دولة الأدارسة سنة 172 هـ / 788 م، واتخذ من جراوة مكاناً ليؤسس عاصمته مدينة فاس.

● التوسع الإدريسي:

- بعد وفاة المولى إدريس، خلفه ابنه إدريس الثاني في سنة 177 هـ / 793 م، وأسّس مدينة عالية في منطقة مقابلة لفاس.
- كانت المدينتان بحاجة إلى إسكان وتعمير، فطلب إدريس الثاني من المهاجرين الأندلسيين المقيمين في الريف الانتقال إلى فاس.

- المهاجرون الأندلسيون استجابوا وانتقلوا إلى فاس، وجلبوا معهم مظاهر الحضارة الأندلسية، بما في ذلك الصناعة والزراعة، وأعطوا المدينة طابعًا أندلسيًا بديعًا.
- فاس والأندلسيين:

- سيطر الأندلسيون على مدينة فاس لدرجة أنها أصبحت تعرف بـ مدينة الأندلسيين.
- أما مدينة عالية التي أسسها إدريس الثاني، فقد أسكنها الجماعة من عرب أفريقية من نواحي القيروان، وسميت مدينة القيروانيين ثم تحولت إلى قرويين.
- مع مرور الوقت، غلب اسم فاس على المدينتين، وصارت تضم عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين.
- القرويون عملوا في التجارة، بينما الأندلسيون اشتغلوا في الزراعة والصناعة، وبالرغم من العداوات والمنافسات بينهم، اندمجوا في النهاية كشعب واحد في مدينة واحدة.
- الفريق الآخر من الربضيين:

- أما الفريق الآخر من الربضيين الذين غادروا الأندلس، فقد واصلوا السير شرقًا حتى بلغوا الإسكندرية.
- استقروا في ضواحي الإسكندرية في أوائل عصر الخليفة العباسي المأمون، بينما كانت الأحوال في مصر مضطربة بسبب الخلافات بين الأمين والمأمون.
- استغل الأندلسيون المهاجرون هذه الفتن، فاستولوا على مدينة الإسكندرية بمعاونة أعراب البحيرة، وأسسوا فيها إمارة أندلسية مستقلة عن الخلافة العباسية استمرت لأكثر من عشر سنوات.
- عودة المأمون إلى السلطة:

- بعدما استتب الأمر للخليفة المأمون، أرسل قائده عبد الله بن طاهر بن الحسين إلى مصر في سنة 212 هـ / 828 م لإعادة الأمور إلى نصابها.
- وجه عبد الله بن طاهر تهديدًا للأندلسيين الذين استولوا على الإسكندرية، مطالبًا إياهم بالدخول في طاعة الخلافة العباسية.
- الأندلسيون استجابوا للتهديد حقنًا للدماء، واتفقوا مع عبد الله بن طاهر على مغادرة مصر وعدم النزول في أي أراضٍ تابعة للعباسيين.
- الانتقال إلى جزيرة كريت:

- الأندلسيون اتجهوا في مراكبهم إلى جزيرة كريت، التي كانت تابعة للدولة البيزنطية.
- استولوا على الجزيرة بقيادة أبي حفص عمر بن عيسى البلوطي في سنة 825م.
- أسسوا قاعدة لهم في كريت أحاطوها بـ خندق كبير، فصارت تعرف باسم الخندق، ومن ثم انتقل الاسم إلى الأوروبية وصار يُعرف بـ Chandax، ثم Candia أو كانديا.
- الاسم الحالي للمدينة هو Herakleon اليوناني.
- أهمية جزيرة كريت:

- أصبحت جزيرة كريت قاعدة بحرية إسلامية هامة، وكان الأسطول الكريتي يغير على سواحل بيزنطة وممتلكاتها التجارية، مما سبب اضطرابات اقتصادية وسياسية في أراضي البيزنطيين.
- حاول البيزنطيون استعادة الجزيرة مرات عديدة، اشترك في بعضها مئات من الجنود الروس، لكن المحاولات باءت بالفشل.
- نجاح المسلمين في الحفاظ على الجزيرة كان بسبب الإمدادات العسكرية من مصر والشام وأفريقية.
- الجزيرة سقطت أخيرًا على يد نفقور الثاني في عام 350 هـ / 960-961م.
- لم يعد المسلمون إلى الجزيرة إلا بعد سبعة قرون عندما سقطت بيد العثمانيين بين 1645 و 1669م.
- ثورة الربض:

- ثورة الریض كانت ثورة شعبية شارك فيها الفقهاء و رجال الدين و الشعراء كمحرضين، وقام بها العامة، ومعظمهم من المولدين الذين كانوا يريدون أن يكون لهم دور مؤثر في المجتمع الأندلسي.
- هؤلاء المولدين شعروا بنقص في وضعهم الاجتماعي والسياسي وفي حقوقهم العامة.
- الثورة تسببت في سفك الكثير من الدماء، لكنها أدت إلى تعويض في الأماكن التي هاجروا إليها مثل الإسكندرية وكريت وفاس.
- تضحية الثورة أدت إلى حيوية ونشاط في المناطق التي استقروا فيها.
- وفاة الحكم:

- توفي الحكم في أواخر سنة 206 هـ / 821م.
- ترك لابنه عبد الرحمن دولة متماسكة، خاضعة تمامًا لسلطان بني أمية.
- رغم قسوته وجبروته، امتاز الحكم بـ العدل والكرم والشجاعة وكان فصيحًا بليغًا.

عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأوسط ٢٠٦ - ٢٣٨ هـ / ٨٢٢ - ٨٥٢م

● خلافة عبد الرحمن الأوسط:

- خلف الأمير الحكم ابنه عبد الرحمن الأوسط (الذي عُرف أيضًا بـ عبد الرحمن الثاني أو الأوسط). كان في سن الثلاثين عند توليه الحكم.
- أطلق عليه لقب الأوسط لأنه جاء في المنتصف بين عبد الرحمن الأول الداخل و عبد الرحمن الثالث الناصر.
- والده أعده جيدًا لتسلم ولاية العهد، حيث عني بتعليمه وتنقيفه في العلوم و الفقه و الحديث، بالإضافة إلى الشعر و الأدب.

● النقلة الحضارية في عهد عبد الرحمن الأوسط:

- عهد عبد الرحمن الأوسط يُعتبر من العهود التي شهدت نقلة حضارية كبيرة في الأندلس.
- قبل وصوله إلى الحكم، كانت المؤثرات الحضارية الإسلامية في الأندلس غالبًا ما تأتي من بلاد الحجاز أو بلاد الشام، وكان النشاط الحضاري في هذه المناطق محدودًا.
- أما في عهد عبد الرحمن الأوسط، رأى ضرورة أن ينتقل بالأندلس من شظف البداوة إلى رونق الحضارة.
- هذا التطور الحضاري جعله يطلع على بلاد العراق، على الرغم من العداء الشديد بين الأمويين في الأندلس و العباسيين في العراق.

● التوجه إلى العراق:

- أدرك عبد الرحمن الأوسط أنه لا يمكن تنمية الأندلس حضاريًا إلا بفتح الباب للثقافة العراقية، و انفتح على أهل العراق.
- في العصر العباسي، بلغت بلاد العراق مكانة كبيرة في الحضارة، حيث انتقل الفرس إلى بغداد، وأظهرت العديد من الأجناس علومهم ومعارفهم.
- الخلفاء العباسيون شجعوا العلم والمعرفة، وساهموا في انتشار الكتب والمكتبات في كل الفروع، حيث ترجمت الكتب الأجنبية إلى العربية في مجالات العلم والفن.
- في بغداد، نبغ العديد من الشعراء و الأدباء و العلماء، مما جعلها مركزًا حضاريًا بارزًا في تلك الفترة.

ثورات المعارضة

● مشاكل الأمير عبد الرحمن الثاني (الأوسط):

- واجه عبد الرحمن الثاني نفس المشاكل التقليدية التي طالما أضعفت دولة الإسلام في إسبانيا، مثل:
 - العصبية العربية.

■ الحساسيات بين البربر والعرب.

■ موقف أبناء البلاد من المولدين و المستعربين تجاه دولة بني أمية.

- عبد الرحمن الثاني اتبع سياسة والده و جده من القسوة و العنف في مواجهة هذه المشكلات.

● تمرد عبد الله البلنسي:

- في سنة 207 هـ / 823م، تمرد عم أبيه المقيم في بلنسية، عبد الله البلنسي، الذي طالما أزعج الدولة بسبب مطامعه و تطلعاته.
- عبد الله كان يعتبر نفسه مستبعدًا عن السلطان بغير وجه حق.
- الأمير الحكم كان قد بالغ في إكرامه، حيث قرب أولاده إليه، ووسع لهم في السلطة والنفوذ، وجعل أحدهم، عبيد الله، قائدًا لجنده.
- ترك عبد الله يحكم بلنسية وحوالها حكمًا شبه إقطاعي، ولكنه شعر أن وفاة الأمير قد تمنحه فرصة لتحقيق مصلحة شخصية، مثل الحصول على إمارة قرطبة أو توسيع نفوذه.
- جمع عبد الله البلنسي جنده و سار نحو كورة تدمير، ولكن عكة صحية أصابته أجبرته على العودة إلى بلنسية حيث توفي في سنة 208 هـ.
- بعد وفاته، عادت مدينة بلنسية إلى سلطة قرطبة، والتي عينت عليها واليًا يرتبط بالأمير مباشرة.

● الفتنة في مدينة تدمير:

- رغم فشل ثورة عبد الله البلنسي، لم تهدأ مدينة تدمير.
- فتنة بين اليمنية والمضرية حدثت بسبب قتل يمامي لـ مضري.
- الحكومة القرطبية فشلت في إخضاع المدينة، و الاضطراب استمر حتى عام 213 هـ.
- بعد ذلك، هدأت الفتنة بعد أن شغلت حكومة قرطبة وأرهقتها.
- عبد الرحمن الأوسط استجلب الزعيم اليمني أبا الشماخ إلى جانبه، ليصبح من ثقاته و مقريه.

● قمع الثورات الأخرى:

- قضى عبد الرحمن الأوسط على عدة ثورات في قرطبة و طليطلة و ماردة.

جهاده البحري ضد المسيحيين والنورمان

● سواحل شبه الجزيرة الأيبيرية:

- شبه الجزيرة الأيبيرية تتمتع بسواحل طويلة على البحر المتوسط و المحيط الأطلسي من الشرق والغرب والجنوب، مما جعلها عرضة للكثير من الغزوات البحرية.
- المسلمون فطنوا لهذا الأمر، فأنشأوا دورًا للصناعة في الموانئ المختلفة.
- تولى اليمنيون حراسة الموانئ وحفظ السواحل من الغارات البحرية، واعتمدوا أيضًا على جماعات بحرية أندلسية من المولدين و البربر و المستعربين.
- كانت البحرية الأندلسية نشطة في البحر المتوسط، خصوصًا في المناطق المتاخمة لـ الدولة البيزنطية أو الدولة الكارولنجية، وكان لها مغامرات بحرية في المحيط الأطلسي في منتصف القرن الثالث الهجري.

● غزو جزيرة صقلية:

- عبد الرحمن الأوسط شارك في غزو جزيرة صقلية بالتعاون مع دولة الأغالبة في أفريقية.
- توقف عن الغزو بسبب المعاهدة التي عقدها مع تيوفيل الإمبراطور البيزنطي في عام 840م / 225هـ، التي نصت على عدم مناصرة أي عدوان ضد الدولتين.

● موقف الأمويين من الفرنجة:

- كان الفرنجة أعداء تقليديين للأمويين لأنهم كانوا مجاورين لأراضيهم وطامعين فيها.

- الأندلسيون لم ينسوا صراعهم الطويل مع الفرنجة منذ شارل مارتل وابنه بيبين وحفيده شارلمان، الذي حاول غزو الأندلس في حملته الفاشلة.
- في عهد عبد الرحمن الأوسط، جاء لويس الحليم (الإمبراطور الفرنسي) الذي سار على سياسة آبائه العدائية نحو الأندلس، وبسط حمايته على الجزر القريبة منها مثل جزر البليار و سرديانية و قورسيقة.
- الغارات البحرية على الشواطئ الفرنسية:

- عبد الرحمن الأوسط شعر أن قوته البحرية أقوى من قوات الإمبراطور لويس الحليم، فشن غارات بحرية على شواطئ دولة الفرنجة في جنوب فرنسا من عام 839م إلى 850م.
- قضى على قواعد المقاومة مثل مرسيليا، وشملت الغارات جزر البليار التي كانت في حوزة الفرنجة، واستمرت الهجمات حتى سيطر المسلمون عليها.
- الحكومة القرطبية سيطرت على الجزر في عام 848م / 234هـ، لكن السيطرة المباشرة لم تحدث إلا في عام 902م / 290هـ.
- هجمات النورمان:

- من أخطر الهجمات البحرية التي واجهها عبد الرحمن الأوسط كانت هجمات النورمان الذين كانوا معروفين بسرعتهم وهجماتهم الخاطفة.
- كانت أشرعهم السوداء وأسلحتهم النارية تجعل البحر يبدو وكأنه مليء بالطيور السوداء.
- النورمان كانوا يعرفون بأسماء مختلفة مثل النورمان الأردمانيون و الفينكنج المجوس.
- كلمة النورمان ربما تكون محرفة من "Northmon" وتعني سكان الشمال، بينما الأردمانيون تعني الشماليون ومشتقة من الكلمة اللاتينية "Nordmanni".
- تعريف النورمان:

- العرب أطلقوا على النورمان اسم "الفينكنج"، وهو مصطلح يعني سكان الخلجان التي تمتاز بها شواطئ الجهات الشمالية الغربية من أوروبا.
- النورمان ينتمون إلى الجنس الآري وينقسمون إلى ثلاث مجموعات: السويديون، و النرويجيون، و الدانمركيون، وكان موطنهم الأول شبه جزيرة اسكنديناوة، وهناك من يعتقد أنهم من شواطئ ألمانيا الشمالية.
- الطابع العسكري للنورمان:

- النورمان كانوا محاربين من الطراز الأول، وبدأت غاراتهم في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي على شواطئ فرنسا ومصب نهر اللوار و الجارون.
- تمكنوا من إنشاء مراكز وقواعد لهم في هذه المناطق.
- الغارات النورمانية على السواحل الأوروبية الغربية كانت نتيجة لعدة عوامل، أبرزها أن بلادهم كانت مليئة بالجيال والمستنقعات، ولا توجد بها سهول واسعة يمكن الاستفادة منها، مما دفعهم للاتجاه إلى البحر.
- أسلوب الغارات النورمانية:

- لم تكن غارات النورمان منظمة تحت قيادة واحدة أو خطة موحدة، بل كانت تتم بواسطة مجموعات متفرقة تعمل بشكل مستقل.
- كانت هذه المجموعات تتجنب مهاجمة السواحل المحصنة ذات الحراسة البحرية مثل السواحل الشرقية، وتركز هجماتها على السواحل غير المحصنة مثل السواحل الغربية.
- غاراتهم على قادس كانت ضمن هذه الهجمات، حيث تمكنوا من احتلالها، ثم اخترقوا نهر الوادي الكبير من مصبه وصعدوا فيه حتى وصلوا إلى أشبيلية في عام 230 هـ.
- غزو أشبيلية:

- عندما احتل النورمان أشبيلية، ارتكبوا مجزرة بحق السكان و عاثوا فساداً في المدينة، حتى أنهم عسكروا في خارج المدينة.
- بعد وصول خبر سقوط أشبيلية إلى الأمير عبد الرحمن، الذي كان قد خرج في جيشه، أرسل قوة بقيادة عيسى بن شهيد الحاجب للتصدي لهم.
- كما أرسل عبد الرحمن إلى عمال المناطق المجاورة ليتعاونوا في دعم عيسى بن شهيد.
- التحضير للمعركة:
- قوات من بني قسي بقيادة موسى بن موسى انضمت إلى الجيش القادم من الثغر الأعلى، رغم العداء بين موسى و الأمير عبد الرحمن.
- لعبت قوة بني قسي دوراً حاسماً في المعركة.
- المعركة والنتيجة:
- دارت معركة حامية بين قوات النورمان والأمويين، انتهت بهزيمة النورمان.
- قتل من النورمان حوالي ألف شخص، و أسر أكثر من 400 منهم.
- تم إحراق ثلاثين سفينة من أسطولهم، واضطر النورمان للفرار بعد فقدانهم قائدهم.
- موقعة طلياطة (Tejada) ٢٣٠هـ / ٨٤٤م:
- انتهت غارة النورمانديين بهزيمتهم في موقعة كبيرة عند بلدة طلياطة بين لبلة وأشبيلية.
- بعد الهزيمة، انسحب النورمانديون من الأندلس، تاركين خلفهم عدداً كبيراً من الأسرى الذين لم يتمكنوا من اللحاق بهم أثناء الانسحاب.
- قام المسلمون بتخيير الأسرى بين الإسلام والقتل، فاعتنق بعضهم الإسلام و اختلطوا بالأهالي، و تكونت منهم جالية نورمانية اشتغلت في تربية المواشي.
- تحصين الموانئ والسواحل:
- نهبت هذه الهجمات الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى تحصين الموانئ والسواحل استعداداً لأي هجوم مستقبلي.
- قام الأمير بتحسين دفاعات أشبيلية، حيث أحاط المدينة بأسوار حجرية عالية.
- كما بنى دار صناعة لبناء السفن الحربية وزودها بالأسلحة، وأنشأ المتاريس والرباطات.
- جهز المدينة والسواحل برجال مدربين على القتال، وعلى صد الغارات البحرية.
- زود السواحل بالمنارات وأقام عيون المراقبة على الأماكن العالية للكشف عن أي عدو محتمل.
- قوة البحرية الأندلسية:
- قويت البحرية الأندلسية بفضل هذه التحصينات، و سيطرت على الحوض الغربي للبحر المتوسط.
- كان للأندلسيين أسطولان: أسطول البحر المتوسط، و أسطول المحيط الأطلسي.
- كانت مراكز الأسطول منتشرة على الساحل الغربي والجنوبي والجنوبي الشرقي بصفة خاصة.
- رجال البحر في الأندلس كانوا يعتبرون سلاحاً خاصاً من أسلحة الجيش، ولهم أجور عالية ونظام خاص.
- جهود الأمير محمد الأول:
- الجهود الكبيرة التي بذلها الأمير عبد الرحمن الأوسط في تقوية أسطوله وتحصين سواحله استمرت في عهد ولده الأمير محمد الأول.
- محمد الأول نجح في هزيمة النورمانديين عندما عاودوا الهجوم على سواحل الأندلس في عهده، مما يدل على أن النورمانديين لم يتمكنوا من تثبيت أقدامهم في إسبانيا.
- هذه الهزيمة تثبت أن سياسة عبد الرحمن الأوسط كانت حاسمة في مواجهة النورمانديين، وأنه المؤسس الحقيقي للبحرية الأندلسية.

العلاقات الدبلوماسية الأولى بين الأندلس والدولة البيزنطية

● الغارات الإسلامية على الإمبراطورية البيزنطية:

- منذ مطلع القرن ٣ هـ / ٩ م، لم تنعم الإمبراطورية البيزنطية بالهدوء بسبب غارات المسلمين على سواحلها وممتلكاتها.
- الأغلبية حكام أفريقية انتزعوا جزيرة صقلية من البيزنطيين وشنوا غارات على سواحل البحر الإديراتي وجنوب إيطاليا حتى بلغوا أسوار روما.
- الأندلسيون الرضويون أيضاً انتزعوا جزيرة كريت وشنوا غارات على جزر بحر إيجه وساحل تراقيا.
- إلى جانب ذلك، كانت الجيوش العباسية تخرج بشكل مستمر من ثغور الشام والجزيرة لشن غارات على الممتلكات البيزنطية في آسيا الصغرى.
- الإمبراطور البيزنطي تيوفيل (٨٢٨-٨٤٢ م):

- كان يحكم الإمبراطورية البيزنطية في زمن عبد الرحمن الأوسط الإمبراطور تيوفيل الذي كان متعصباً ضد الإسلام ويتوق إلى الانتقام من المسلمين.
- في سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م، دخل تيوفيل في نزاع مع الخليفة العباسي المعتصم، وانتقم من المسلمين أثناء انشغال المعتصم بقتال الخرميين.
- غارة تيوفيل على زبطرة:

- اغتتم تيوفيل انشغال المعتصم بالخرميين و هاجم مدينة زبطرة (Zapetra) التي تعد من أقرب الثغور الإسلامية إلى بلاد الروم.
- قام بتدمير المدينة وأحرقها، مما أغضب المعتصم بشكل خاص لأن المدينة كانت مسقط رأس والدته التركية.
- المعتصم قرر الانتقام وأقسم على تدمير مدينة عمورية (Amorium) التي كانت مسقط رأس والد الإمبراطور البيزنطي وأهم مدينة في الأناضول.
- رد المعتصم على الغارة:

- حشد المعتصم جيشاً كبيراً قاده بنفسه.
- التقى بالمؤسسة البيزنطية وهزم تيوفيل، و خرب مدينة أنقرة ثم حاصر مدينة عمورية بعد حصار شديد.
- تمكن المعتصم من اقتحام أسوار عمورية وتدميرها.
- محاولة تيوفيل البحث عن حلفاء:

- بعد هزيمته، تيوفيل قرر البحث عن حلفاء جدد لدعمه ضد العباسيين وحلفائهم.
- بدأ في البحث عن القوى الأوروبية المسيحية في البداية، ثم توجه إلى حكومة قرطبة الأموية مستغلاً العداء القائم بين حكومة قرطبة وحكومة بغداد.
- سفارة الإمبراطور تيوفيل إلى عبد الرحمن الثاني (٨٢٥ هـ / ٨٤٠ م):

- في سنة ٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م، أرسل الإمبراطور تيوفيل سفارة إلى عبد الرحمن الثاني عاهل الأندلس.
- كانت على رأس السفارة رجل يوناني يدعى قرطوس، الذي كان يجيد اللغة العربية.
- حملت السفارة هدايا فاخرة ورسالة من تيوفيل تطلب عقد تحالف مع عبد الرحمن الثاني ضد الأعداء العباسيين الذين قضوا على ملك أجداده الأمويين في المشرق.
- كما طلب تيوفيل المساعدة ضد الأغلبية في صقلية و الرضويين في كريت.
- استقبال عبد الرحمن الثاني للسفارة:

- استقبل عبد الرحمن الثاني السفارة استقبلاً فخماً وأبدى قبول الهدايا البيزنطية.

- رد عبد الرحمن على الهدايا بمثلها وأوفد سفارة مماثلة إلى الإمبراطور البيزنطي.
- كانت السفارة الأندلسية برئاسة الشاعر يحيى الغزال، الذي كان يتمتع بسمعة حسنة وجمال، ولهذا لقب بالغزال.
- يروى أن عبد الرحمن الثاني عندما رأى يحيى الغزال قال: "جاء الغزال بحسنه وجماله"، واعتقد أن هذه الصفات جعلت يحيى الغزال الأنسب للسفارة بينه وبين الملوك لتترك انطباعاً حسناً.
- استقبال الإمبراطور تيوفيل للسفارة الأندلسية:
- عندما وصلت السفارة الأندلسية إلى القسطنطينية، استقبلها الإمبراطور تيوفيل بالحفاوة والترحاب.
- تسلم الإمبراطور من السفير البيزنطي هدية العاهل الأندلسي ورسالة الرد على خطابه.
- محتوى رسالة عبد الرحمن الثاني إلى الإمبراطور تيوفيل:
- الرسالة طويلة و مليئة بالعبارات الجميلة، لكن لم يتعهد فيها عبد الرحمن الثاني بأي تحرك حربي ضد أعدائه سواء في الحاضر أو المستقبل.
- عبد الرحمن في رسالته:
- يشاطر الإمبراطور سخطه على العباسيين، ويرجو من الله أن يقطع دابرهم.
- يتبرأ من الربضيين في كريت لأنهم خرجوا عن طاعته، ويترك للإمبراطور البيزنطي حرية معاقبتهم وطردهم من الجزيرة.
- يعتذر عن محاربة الأغلبية لأنهم يجاهدون في سبيل نصرته الإسلام.
- عودة السفارة الأندلسية إلى قرطبة:
- بعد أن أكملت السفارة الأندلسية مهمتها في القسطنطينية، عادت إلى قرطبة عن طريق البحر.
- يحيى الغزال دون مشاهداته في العاصمة البيزنطية، وأحاديثه مع الإمبراطورة تيودورا زوجة تيوفيل، ومع ابنه وولي عهده الأمير ميشيل.
- هذه الأحاديث والملاحظات نقلها المؤرخ الأندلسي ابن حيان في كتابه المقتبس في أخبار بلد الأندلس.
- سفارة يحيى الغزال إلى ملك النورمانديين:
- في بعض الكتب الأندلسية المتأخرة، ورد أن عبد الرحمن الثاني أرسل يحيى الغزال في سفارة أخرى إلى ملك النورمانديين في شمال أوروبا بعد غاراتهم على الأندلس.
- هذا الوصف ورد في كتاب ابن دحية الكلبي "المطرب في أشعار أهل المغرب" الذي كتبه في القرن ٥٦هـ / ١٢م.
- التغيرات الدبلوماسية بين قرطبة والقسطنطينية:
- العلاقات الدبلوماسية التي بدأت لأول مرة بين قرطبة والقسطنطينية أظهرت أن كلا من العالم المسيحي والإسلامي بدأ يخرج عن تقاليدهما القديمة.
- المصالح الخاصة أصبحت المتحكم الرئيسي في السياسة، وليس الاعتبار الدينية كما كان الحال من قبل.

فترة المستعربين في قرطبة

- المجتمع الأندلسي حتى ذلك الوقت كان يتكون من:
- طبقة الفاتحين العرب و البربر.
- طبقة المولدين، وهم ثمرة اختلاط وتزاوج الفاتحين بأهالي البلاد الأصليين.
- عناصر مسيحية من أهالي البلاد، الذين حافظوا على دينهم المسيحي ولكن اندمجوا في الحياة الإسلامية وتعلموا اللغة العربية بجانب لغتهم الأصلية، التي كانت الرومانسية (لهجة عامية مشتقة من اللاتينية، ومنها تكونت اللغة الإسبانية).
- تسامح الأمويين مع المسيحيين:

- لقي أفراد الطبقة المسيحية المتعلمة للغة العربية تسامحاً كبيراً من جانب الأمويين.
- بعضهم شغل مناصب كبيرة في الجيش والإدارة والقصر.
- العديد منهم تعمقوا في دراسة علوم العرب وآدابهم وأشعارهم.
- تم التعرف عليهم باسم المستعربين أو المستعربة، أي الذين تعربوا في اللغة والثقافة والعادات.
- **معارضة رجال الدين المسيحيين:**
 - أثار إقبال المسيحيين على الثقافة العربية، حسد القساوسة ورجال الدين الذين كان لديهم أديرة وكنائس في أنحاء الأندلس.
 - بدأوا يعيرون على الشبان المسيحيين إقبالهم على قراءة اللغة العربية وتركهم اللغة اللاتينية (لغة الكتاب المقدس وسير القديسين).
 - **محاولات الراهب إيلوخيو:**
 - كان إيلوخيو، الراهب من أسرة مستعربة، زعيم حزب معارض للثقافة العربية.
 - حاول أن يحث الشبان المسيحيين على قراءة اللغة اللاتينية بدلاً من العربية.
 - وضع شعراً لاتينياً جديداً يعتمد على القافية والوزن مثل الشعر العربي، لكن محاولته فشلت بسبب إقبال الشبان المسيحي على تعلم اللغة العربية وآدابها.
 - **تحول الهجوم إلى الإسلام:**
 - بعد فشل محاولته، تحول هذا الفريق المتطرف من مهاجمة الثقافة الإسلامية إلى مهاجمة الإسلام نفسه.
 - كانت معلوماتهم عن الإسلام ضئيلة وسطحية، فبدأوا يتقولون عليه وعلى النبي محمد بأقاويل مبنية على الخرافات والأباطيل.
 - **استغلال القساوسة للشباب المسيحي:**
 - القساوسة ورجال الدين قاموا بتحريض الشباب المسيحي من رجال ونساء ورهبان على الاستشهاد، وتبنوا طريقة غريبة في ذلك.
 - الطريقة كانت بأن يذهب طالب الاستشهاد إلى أماكن عامة مثل المساجد أو الميادين العامة، يسب الإسلام والرسول علناً، ثم يُقبض عليه ويُحال إلى القاضي.
 - القاضي يحاول إقناعه بالعدول عن تصريحاته، لكنه يرفض ويستمر في السب والتجريح، فيصدر القاضي حكماً بالإعدام.
 - **حادثة قسيس برفكتو:**
 - حادثة فردية بدأت بنقاش بين قسيس في كنيسة قرطبة يدعى برفكتو ومسلم حول فضائل محمد وعيسى.
 - تطور النقاش إلى جدال عنيف، فقد فيه القسيس صوابه وسب الإسلام والرسول علناً.
 - قُبض عليه وحُكم عليه بالإعدام، وتم تنفيذ الحكم علناً في أول أيام عيد الفطر سنة ٢٣٥هـ / ٨٥٠م لتهذنة العامة وإرضائهم.
 - **استغلال الحادث من قبل المتعصبين:**
 - إيلوخيو وبعض زعماء المتعصبين استغلوا الحادث في دعاية واسعة ضد الإسلام والمسلمين، مما زاد في اشتعال الفتنة.
 - عمت البلاد موجة من التعصب الديني، وكان مركزها مدينة قرطبة.
 - **دعايات التحريض ضد المسلمين:**
 - المتعصبون نشروا دعاية بين صفوف النصارى في قرطبة، لجذب المزيد من الشباب المسيحي الذين تأثروا بالأفكار المتطرفة.

- هؤلاء الشبان أصروا على سب الإسلام، بل وذهبوا إلى الإصرار على موقفهم حتى الموت، معتقدين أنهم يستشهدون من أجل المسيحية.

● حوادث أخرى:

- يوحنا، أحد النصارى، تهاجم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعد عام من حادثة برفكتو، فتم إحضاره إلى القاضي الذي أمر بجلده ثم حكم عليه بالقتل.
- يعتقد بعض الباحثين الأوروبيين أن عقوبة الموت التي كانت تُنفذ ضد المتعصبين من النصارى زادتهم تشددًا، ودفعتهم إلى استفزاز المسلمين بأقوالهم من أجل أن يُقتلوا وينالوا الشهادة.

● مشاركة النساء المتحمسات:

- لم يقتصر الأمر على الرجال فقط، بل النساء المتحمسات للمسيحية شاركن أيضًا في هذه الأحداث.
- ذكر ابن سهل أن نصرانية تُدعى ذبحة دخلت إلى مجلس قاضي الجماعة في قرطبة، وقالت: "إن عيسى هو الله" و***محمد كذب في ادعاء النبوة***.

- العلماء أفتوا بوجوب قتلها بسبب إساءتها للإسلام والنبي.

● موقف السلطة الأموية:

- رغم تنامي ظاهرة التطرف الديني واتساع دائرة الفتن بين المسيحيين، فإن السلطة الأموية لم تتخذ موقفًا متشددًا ضد رعاياها من النصارى.
- بل أبقت الإجراءات التي تتعلق بمواجهة هذه المشكلة بيد القضاة والفقهاء الذين تمتعوا بمرونة في تطبيق الحدود، وأحيانًا اكتفوا بجلد المتطرفين الذين رشحوا أنفسهم للموت طلبًا للشهادة، كما كانوا يزعمون.

● مجمع ديني في قرطبة:

- عبد الرحمن قرر عقد مجمع ديني في قرطبة بحضور أساقفة الأندلس برئاسة مطران أشبيلية ريكا فريدو.
- المجمع عُقد في سنة ٢٣٧هـ / ٨٥٢م، وكان ممثل الحكومة الأموية فيه موظفًا مسيحيًا يُدعى جومز بن أنطونيان.
- في نهاية المجمع، استنكر الأساقفة تلك الأعمال التطرفية، وأعلنوا محاربتها، باستثناء أسقف قرطبة "ساؤول" الذي دافع عن هؤلاء المتطرفين، واعتبرهم حركة جنونية انتحارية وخروجًا على تعاليم الكنيسة.
- الحكومة اعتقلت الراهب ساؤول وأتباعه من زعماء الحركة المتطرفة، وأودعتهم السجن، ولكن الإجراءات لم توقف استمرار الفتن.

● حوادث إضافية:

- المتطرفون من النصارى اقتحموا مسجد قرطبة وبدأوا في سب الإسلام فيه، فتم قبض عليهم، وحكم عليهم بالموت في سنة ٢٣٨هـ / ٨٥٢م.

● هدوء الفتن في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن:

- لم تهدأ الفتن إلا في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الذي أفرج عن الراهب إيلوخيو، وعينه أسقفًا على مدينة طليطلة، مما أدى إلى هدوء الفتن قليلًا في قرطبة.
- ولكن إيلوخيو عاد مرة أخرى إلى قرطبة وواصل نشاطه المتطرف.
- الأمير محمد بن عبد الرحمن لم يطق الصبر على ذلك، فقبض عليه وقتله في سنة ٢٤٥هـ / ٨٥٩م.
- بعد ذلك، ضعفت الفتنة تدريجيًا حتى انتهت من تلقاء نفسها.

وفاة الأمير عبد الرحمن الثاني

● وفاة الأمير عبد الرحمن الثاني:

- توفي الأمير عبد الرحمن الثاني في سنة ٢٣٨هـ / ٨٥٢م، ليخلفه ابنه الأكبر محمد.

● شهادة المؤرخ ابن الآبار عن عصر الأمير عبد الرحمن الثاني:

- يذكر المؤرخ الأندلسي ابن الآبار أن عبد الرحمن الثاني كان الرجل الذي استكمل فخامة الملك في الأندلس، واعتنى بترتيب الخدمة في المملكة.
- لقد كسا الإمارة أبهة الخلافة، أي أنه أضفى عليها مظاهر العظمة التي كانت موجودة في الخلافة.
- في عصره، ظهر الوزراء والقواد وأهل الكور، أي المسؤولين عن المناطق أو الأقاليم.
- قام أيضاً ببناء القصور الجميلة، واهتم بتطوير البنية التحتية مثل جلب المياه من الجبل وتحسين شبكات المياه.
- كما قام ببناء الرصيف على الوادي الكبير، مما يعكس اهتمامه بتجميل وتطوير العاصمة قرطبة.

عصر دويلات الطوائف الأولى ٢٣٨ - ٣٠٠ هـ - ٨٥٢-٩١٢م

● الفترة التي تلت وفاة عبد الرحمن الثاني حتى تولية عبد الرحمن الثالث:

1. الفترة التي تلت وفاة عبد الرحمن الثاني حتى تولية عبد الرحمن الثالث كانت فترة مضطربة استمرت نحو 62 سنة.

● الأمراء الذين حكموا خلال هذه الفترة:

1. محمد بن عبد الرحمن: حكم من ٢٣٨ - ٢٧٣ هـ (٨٥٢ - ٨٨٦م).

2. المنذر بن محمد: حكم من ٢٧٣ - ٢٧٥ هـ (٨٨٦ - ٨٨٨م).

3. عبد الله بن محمد: حكم من ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ (٨٨٨ - ٩١٢م).

● الاضطرابات السياسية وضعف السلطة المركزية:

1. كانت هذه الفترة مليئة بالاضطرابات السياسية، وكانت سلطة الحكومة الأموية في قرطبة ضعيفة ومحدودة. ولذلك، يمكننا اعتبار هذه الفترة عصر واحد ذو تطورات متصلة.

● التركيب الاجتماعي والعرق في الأندلس:

1. إسبانيا لم تكن شعباً واحداً حتى هذه الفترة، بل كانت شعوباً وأجناساً مختلفة:

1. الأهالي الأصليون (المسلمون والمستعربون).

2. الفاتحون (العرب والبربر) الذين كانوا يشكلون أقلية من حيث العدد.

3. سكان الولايات الشمالية الأسبانية مثل قطلونيا.

● التقسيمات الداخلية للأندلس:

1. مع ضعف الحكومة المركزية، بدأ الاستقلال المحلي يظهر بين الأجناس المختلفة في الأندلس، حيث كانت الطبيعة الجغرافية الجبلية تساعد على ذلك.

2. استقلال بعض الأقاليم عن قرطبة:

1. بنو قسي أو بنو موسى: استقلوا بمنطقة سرقسطة (الثغر الأعلى)، التي كانت ثغراً على أراجون وقطلونيا في شمال إسبانيا.

2. بنو مروان الجليقي: استقلوا بولاية بطليوس (Badajoz) في غرب إسبانيا.

3. بنو حفصون وزعيمهم عمر بن حفصون: استقلوا بالمرتفعات الجنوبية الإسبانية بين رندة غرباً ومالقة شرقاً، وكان مقرهم قلعة ببشتر (Bobastro).

● استقلال زعماء البربر:

1. بنو ذي النون: استقلوا في الشجر الأدنى (طليطلة)، الذي كان ثغراً على بلاد الجلائقة وقشتالة في شمال غرب إسبانيا.
 2. بنو الملاح: استقلوا في مدينة جيان.
- زعماء العرب الذين استقلوا عن قرطبة:

1. من أبرز زعماء العرب الذين استقلوا عن قرطبة في تلك الفترة:
1. بنو حجاج في أشبيلية:

- بنو حجاج كانوا عرباً من قبيلة لخم اليمنية.
- عاش في كنفهم عدد من الشعراء والكتاب مثل أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب "العقد الفريد".
- العقد الفريد هو موسوعة أدبية تناولت أخبار المشرق والمغرب.
- الكتاب حظي بأهمية علمية وثقافية رغم الهجوم عليه من بعض الأندلسيين مثل الشاعر القلعات الذي سماه "عقد الثوم".
- الكتاب يعكس الشخصية الأندلسية وقد كان الهدف من تأليفه معارضة أدباء المشاركة.
- إبراهيم بن الحجاج كان زعيم هذه الإمارة، وكان ينافس أمير قرطبة الأموي في اجتذاب العلماء والشعراء والفنانين.
- يذكر أنه بعث إلى مغنية مشهورة في العراق تُدعى قمر البغدادية فمكنت في أشبيلية ونشرت فنّها في الأندلس.
- 2. سعيد بن جودي السعدي:

- سعيد بن جودي السعدي كان أميراً شاعراً استقل بـ غرناطة.
- كان عدواً لـ عمر بن حفصون وأتباعه من المولدين، وكانت بينه وبينهم وقائع حربية عديدة.

• الزعماء الآخرين:

1. تمثل هذه الأسر العناصر الثلاثة الكبرى في إسبانيا في تلك الفترة.
 2. تم ذكر هذه الأسر على سبيل المثال لا الحصر، حيث كان هناك غيرهم كثيرون.
- أهم وأخطر شخصية:

1. عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر:
 1. كان زعيم المولدين.
 2. يعتبر من أهم الشخصيات في تلك الفترة وأخطرها.
 3. يشير الاسم "حفصون" إلى صيغة تكبير لاسم "حفص"، حيث أن الواو والنون في آخر الاسم تدلان على التكبير أو التفخيم، وهو مأخوذ من المقطع الإسباني un أو on.
 4. توجد أسماء أندلسية كثيرة تأثرت بهذه الصيغة الإسبانية، مثل:
- غلبون من غالب.
 - زرقون من أزرق.
 - عبدون من عبد أو عابد.
 - خلدون من خالد.
 - زيدون من زيد.

• عمر بن حفصون:

1. وُلد عمر بن حفصون في أسرة فقيرة اعتنقت الإسلام منذ أيام جده جعفر إسلامي في عهد الحكم الرضي.
2. عندما ترعرع عمر، ظهرت فيه شراسة وحدة دفعته إلى قتل أحد جيرانه، ففرّ إلى المغرب حيث عمل عند خياط.

3. ذات يوم، زار شيخ أندلسي هذا الخياط وأخذ يحدثه عن سوء حالة المولدين والمعاناة التي يلاقونها في الأندلس.
 4. كان عمر يستمع لهذا الحديث باهتمام شديد، وعندما علم الشيخ بأن الشخص الذي يستمع له من المولدين، نصحه بالعودة إلى بلاده واستخدام السيف بدل الإبرة، متنبئاً له بمستقبل عظيم.
 5. تأثرت هذه العبارة في نفس عمر، فعاد إلى مسقط رأسه في كورة رية (جنوب الأندلس).
 6. جمع حوله عدد كبير من شباب المولدين واستولى على حصن روماني قديم اسمه ببشتر Bobastro في أعلى الجبال الجنوبية بالأندلس.
 7. من هناك بدأ يوسع حدود سلطانه عبر الغارات على المناطق المجاورة، حتى وصل إلى حصن بلي Poley المطل على قرطبة نفسها.
- علاقته بالأمراء الأمويين:

1. عمر بن حفصون عاصر الأمراء الأمويين الثلاثة الذين حكموا الأندلس في تلك الفترة (من 268هـ إلى 305هـ).
 2. رغم محاولات الأمراء الأمويين القضاء عليه، إلا أنه نجح في البقاء بسبب موقعه الاستراتيجي وكثرة أتباعه.
- رؤيته للمولدين:

1. اعتبره المستشرق الهولندي دوزي بطل المولدين الذي يمثل آمالهم ومطامعهم.
 2. في إحدى خطبه، قال عمر بن حفصون لأتباعه: "طالما عنف عليكم السلطان وانتزع أموالكم وحملكم فوق طاقتكم وأذلكم العرب، وأنا أريد أخذ بثأركم وأخرجكم من عبيدكم".
 3. هذه العبارة تبين بوضوح هدفه المتمثل في إسقاط دولة العرب في الأندلس.
- التحولات في حياة عمر بن حفصون:

1. كان عمر بن حفصون كثيراً ما يستعمل كلمات أعجمية (أسبانية) في حديثه، مما يدل على تأثره بالعناصر المستعربة.
 2. في أواخر أيامه، ارتد عن الإسلام واعتنق المسيحية، وسمى نفسه "صمويل".
 3. كان يهدف من وراء اعتناقه المسيحية إلى ضم العناصر المستعربة إلى جانبه، إلا أن هذا الأمر أضر بقضيته حيث تخلى عنه كثير من المولدين المسلمين ولم ينضم إليه المستعربة بسبب ضعف موقفه.
 4. على الرغم من ذلك، استمر في استقلاله عن قرطبة حتى وفاته عام 305هـ.
- بعد وفاة عمر بن حفصون، انتقل الأمر إلى أبنائه وهم جعفر، سليمان، وحفص.
- لكن عبد الرحمن الثالث استطاع القضاء عليهم والاستيلاء على قلعة ببشتر، وكذلك قضى على بقية الثورات الأخرى في الأندلس.
- هذا مهد الطريق إلى إعادة توحيد الأندلس تحت سلطان بني أمية من جديد.
- المهم في هذه الفترة هو أن الحروب والاحتكاكات بين المولدين، العرب، البربر، والمستعربين قد عملت على خلط ومزج هذه العناصر والحضارات المختلفة، مما ساعد في صهرها في البوتقة الأندلسية.
- ونتيجة لهذا، نشأت حضارة أندلسية جديدة وأمة ذات كيان خاص وشخصية مستقلة.
- مظاهر نضوج الشخصية الأندلسية:

- في هذا الوقت، أصبحت الأندلس تحكم بيد أبنائها جميعاً، ولم يعد للطبقة الأرستقراطية العربية ذلك التأثير والسيادة القديمة في الحكم.
 - انتشرت ظاهرة اللغة المزدوجة، وهي اللغة العربية واللغة الإسبانية القديمة (التي تسمى الرومانيس Romance)، نتيجة الاختلاط الكبير بين العرب والأسبان خلال تلك الحروب.
 - عند تصفح بعض الكتب الأندلسية مثل كتاب القضاة بقرطبة لـ محمد بن حارث الخشني (ت 361هـ / 971م)، نجد إشارات واضحة تدل على أن الخلفاء والقضاة وعلية القوم في الأندلس كانوا يتحدثون هذه اللغة الإسبانية القديمة أو الرومانيس إلى جانب اللغة العربية. وكان القضاة يناقشون بها المتهمين أثناء محاكماتهم.
- ظهور فن الموشحات:

- نتيجة لاختلاط اللغتين العربية والإسبانية، ظهرت ظاهرة جديدة هي اختراع فن الموشحات، ويقال أن مخترع هذا الفن كان مقدم بن معافى القبري، وهو رجل ضرير من بلدة قبرة (قرب قرطبة) عاش في أواخر القرن 3هـ / 9م في أيام الأمير عبد الله بن محمد.
- يعتبر هذا الفن ثورة في الشعر العربي وحركة تجديد في الشعر العربي. وإذا كان المشرق قد قدم فن القصيدة الشعرية، فإن المغرب، وتحديداً الأندلس، قد قدم للمشرق فن الموشحة.
- ما يميز الموشحة عن القصيدة أنها لا تلتزم بنظام القوافي الموحدة، بل تحتوي على قوافي متعددة. كما أن وحدتها ليست البيت الشعري، بل هي المقطوعة الشعرية التي تتكون من غصن وقفل.
- الخرجة هي القفل الأخير في الموشحة، ويجب أن تكون إما باللغة العجمية (أي الإسبانية)، أو باللغة العامية الأندلسية.
- انتشار فن الموشحات:

- انتشر فن الموشحات في المغرب والمشرق.
- أصبح يشبه القصيدة الشعرية.
- استخدمه الصوفيون في مدائحهم وأدكارهم.
- أشهر الوشاحين الأندلسيين:

- ابن عبد ربه (ق 3-4هـ)
- عبادة القزاز (ق 4هـ)
- الأعمى التطيلي (ق 6هـ)
- أبو بكر بن زهر (ق 6هـ)
- لسان الدين بن الخطيب (ق 8هـ)
- عبد الله بن زمرك (ق هـ)
- تأثير الأغنية الشعبية العربية:

- أثرت الأغنية الشعبية العربية ذات الخرجة الأوروبية على الشعر العربي.
- تطور منها الزجل.
- أثرت على الشعر الشعبي الأوروبي مثل الشعر البروفنسي الذي كان ينشده التروبادور في جنوب فرنسا وإيطاليا وإسبانيا.
- انتشار اللغة الإسبانية القديمة بين المسلمين:

- انتشرت اللغة الإسبانية القديمة بين المسلمين في الأندلس.
- انتشار اللغة العربية بين المسيحيين:

- انتشرت اللغة العربية بين المسيحيين في الأندلس.
- ظهرت طبقة المستعربين الذين تأثروا بالعرب في ثقافتهم ولغتهم وسلوكهم وعاداتهم وملابسهم.
- أسماء المستعربين:

- بعض المستعربين اتخذوا أسماء عربية إلى جانب أسمائهم المسيحية مثل الأسقف ربيع بن زيد الذي كان يعرف باسم Recemundo.
- دور المستعربين في نقل الحضارة الإسلامية:

- قام المستعربون بدور هام في نقل الحضارة الإسلامية إلى شمال إسبانيا المسيحية.
- معرفتهم باللغتين العربية والإسبانية ساعدت في هذا الدور.
- هجراتهم المستمرة إلى مملكتي قشتالة وأراغون في شمال إسبانيا ساهمت في انتشار الثقافة والعادات الإسلامية.

● أثر اللغة العربية في الإسبانية:

- تأثير اللغة العربية في اللغة الإسبانية واضح من خلال الألفاظ ذات الأصل العربي.
- أعداد هذه الألفاظ تصل إلى الآلاف، مما يدل على التأثير الكبير للغة العربية في الإسبانية.

الفصل الرابع

عصر الخلافة بالأندلس ٣١٦ - ٤٠٠ هـ / ٩٢٩ - ١٠٠٩ م

أولاً: الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله ٣٠٠ - ٣٥٠ / ٩١٢-٩٦١ م

- سياسة الناصر الداخلية
- إعلان الخلافة الأندلسية
- سياسة الناصر الخارجية
- الصقلية في أيام الخلافة
- بناء مدينة الزهراء

ثانياً: الخليفة الحكم الثاني المستنصر بالله ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١-٩٧٦ م

- سياسة المستنصر في المغرب ومواجهة الخطر الشيعي
- سياسة المستنصر مع الممالك المسيحية الأسبانية
- جهاد المستنصر ضد النورمان

ثالثاً: الخليفة هشام الثاني المؤيد بالله

رابعاً: الدولة العامرية

- المنصور بن أبي عامر
- جهاد المنصور ضد الممالك المسيحية في شمال إسبانيا
- سياسة المنصور في بلاد المغرب
- علاقات المنصور الدبلوماسية مع ملوك أوروبا وإسبانيا
- أبناء المنصور ابن أبي عامر

خامساً: سقوط الدولة الأموية في الأندلس

الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله ٣٠٠ - ٣٥٠ / ٩١٢-٩٦١ م

● وفاة الأمير عبد الله بن محمد:

- توفي الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن أمير الأندلس في ربيع الأول سنة 300 هـ / أكتوبر 912 م.
- وفاته جاءت بعد حكم طويل مليء بالصراعات التي مزقت المملكة، ونتج عن ذلك نضوب الموارد.

● خلافة عبد الرحمن الناصر:

- خلفه في نفس اليوم على العرش حفيده عبد الرحمن الناصر الذي كان عمره لا يتجاوز 23 عاماً.

● صفات عبد الرحمن الناصر:

- كان أميراً حازماً، ذكياً، عادلاً، عاقلاً، وشجاعاً.
- كان محباً للإصلاح وحريصاً عليه.

● أعماله العسكرية والسياسية:

- قاد الجيوش بنفسه، حيث استطاع أن ينزل العصاة من حصونهم.
- استخدم الشجاعة والسياسة الحكيمة، سواء من خلال السيف أو الوسائل السياسية الرشيدة التي اتبعها.

أولاً: سياسة الناصر الداخلية

● الظروف التي واجهها عبد الرحمن الناصر:

- كانت الأندلس في عهد عبد الرحمن الثالث (الناصر) في حاجة شديدة إلى السكينة بعد الثورة التي هزتها.
- أدرك الناصر أن سياسة التردد والرفق التي اتبعها أجداده مع الزعماء الخوارج كانت خطرة، وأنه لا بد من سحق الثورة وزعمائها بأي وسيلة.
- إجراءات عبد الرحمن الناصر لتهدئة الأوضاع**:

- بدأ الناصر عهده بإصدار منشور عام إلى الثوار المستقلين، يعدهم فيه بـ وعود طيبة من مال وسلطان إذا عادوا إلى الوحدة والطاعة.
- في نفس الوقت، هدد من يرفض العودة بالـ حرب والتشريد ومصادرة الأموال.
- تأثير المنشور:

- جاء المنشور في وقت مناسب، حيث كانت الناس قد ملت من الحروب الطويلة التي تسببت في الفوضى وأضرت بـ الأمن والتجارة.
- الكثير من الناس خضعوا لعبد الرحمن بسبب وفائه بوعوده، مما جعل الأمراء والقادة في المناطق المختلفة يطمنون له.
- السياسة المتبعة مع المخالفين:

- عبد الرحمن الناصر سعى للحصول على بيعة الأمة، وبذل كل جهده لإخضاع من يرفضون الطاعة.
- بعد أربعين يومًا من توليه الحكم، حقق وزيره عباس بن عبد العزيز القرشي نصرًا كبيرًا على الفتح بن موسى بن ذي النون الثائر في قلعة رباح، وهو أول نصر في عهده.
- المعارك المستمرة مع ابن حفصون:

- رغم الانتصارات، ظل ابن حفصون يشكل الخصم العنيد بالنسبة لعبد الرحمن الناصر.
- اعتبر الناصر أن القضاء على ابن حفصون هو أولويته الأساسية، حيث كان يعرقل تنفيذ حكم مركزي قوي وإعادة وحدة الأمة الأندلسية.
- كان ابن حفصون يحكم مدن وقلاع وسط الأندلس بين إقليم رية والجزيرة الخضراء، وكذلك بين البيرة ومشارف قرطبة.
- غزوة عبد الرحمن الناصر الأولى:

- في شعبان سنة 300هـ / 913م، خرج عبد الرحمن الناصر في غزوته الأولى إلى جنوب شرق الأندلس.
- اتجه الناصر وجيوشه إلى حصن المثلون، وكان يرفع فيه لواء العصيان سعيد بن هذيل، فحاصره حتى استسلم ودخل الأمير الحصن.
- التحركات التالية:

- بعد حصار المثلون، رحل الناصر إلى حصن الشمنتان، معقل عبيد الله بن الشالية، حيث استسلم دون حرب ونزل عن معاقله وحصونه، وكان عددها يقارب المائة.

● **مهاجمة حصون ابن حفصون:**

- اتجه الناصر إلى حصون ابن حفصون في كورة جيان وافتتحها واحدة تلو الأخرى، حتى استصفي الكورة بلا معارضين.
- ثم توجه إلى حصون ابن حفصون في كورة البيرة، حيث هاجمها حصناً حصناً واستولى عليها، مما أدى إلى قضاء على الثورة فيها.
- **الغزوة البحرية:**
- أرسل الناصر بعض جيوشه إلى مدينة مالقة بسبب موقعها البحري الممتاز وأهميتها كأداة اتصال لـ ابن حفصون مع شمال أفريقيا.
- **نتائج الغزوة:**

- انتهت غزوة عبد الرحمن الناصر بالاستيلاء على سبعين حصناً من أمهات الحصون، بالإضافة إلى حوالي ثلاثمائة حصن وبرج.
- **أهمية الغزوة:**

- غزوة المنتلون كانت ذات أهمية كبيرة، حيث تمكن عبد الرحمن الناصر من إعادة سيادة دولة بني أمية إلى مدن ومقاطعات كانت قد خرجت عن الطاعة منذ فترة طويلة، وأرجعها إلى الخضوع لسلطان العاصمة.
- **الخارجون عن طاعة عبد الرحمن الناصر:**

- **بني الحجاج في أشبيلية**، رغم أصلهم العربي، كانوا مرتبطين بالمولدين والأسبان عن طريق رابطة القرابة من جهة الأمهات.
- هذه الرابطة أكسبتهم دعماً قوياً من بعض المولدين والمستعربين ضد سلطان قرطبة.
- **تحركات عبد الرحمن الناصر:**

- استطاع عبد الرحمن الناصر أن يجذب أحمد بن محمد بن مسلمة بن حجاج إلى صفه بعد وفاة عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج في سنة 301 هـ.
- قام بتعيين سعيد بن المنذر والياً على أشبيلية، حيث هدم سور أشبيلية حتى لا يتمكن الثوار من التحصن بها، وبنى دار الإمارة وحصنها بسور من الحجر.
- **عودة ابن حفصون:**

- بعد عودة عبد الرحمن إلى قرطبة، عاد ابن حفصون ليهاجم حصون كورة رية والجزيرة الخضراء، فاندلعت الثورة مجدداً.
- في شوال 301 هـ، خرج عبد الرحمن لملاقاة ابن حفصون، وبدأ بحصار قلعة طرش، حيث وقعت معركة دارت بين قوات الأمير وقوات ابن حفصون.
- مذبحه كبيرة حدثت في صفوف قوات ابن حفصون وحلفائه، فر ابن حفصون إلى بيشتر.
- نجح عبد الرحمن في ضبط عدد من السفن المحملة بالمؤن التي أرسلها الفاطميون دعماً لابن حفصون، فقام بإحراقها.
- **طلب الصلح من ابن حفصون:**

- مع انقطاع السبل أمام ابن حفصون، لجأ في عام 303 هـ إلى طلب الصلح بسعي من يحيى بن إسحاق، طبيب الأمير وصديق ابن حفصون.
- قبل عبد الرحمن الناصر عرض الصلح، وكلف يحيى بن إسحاق بالتفاوض على الشروط.
- تم الاتفاق على شروط الصلح، التي تضمنت:

- إقرار الأمير لابن حفصون بالسيطرة على بعض الحصون.
- دخول ابن حفصون في طاعة الأمير.

● نتائج الصلح:

- ابن حفصون أصبح طائعاً للأمير، وبذلك قضى عبد الرحمن الناصر على أخطر الخارجين عليه.
- لم تمض سنوات قليلة من حكم عبد الرحمن إلا وكانت الأندلس قد عادت إلى وحدتها تحت السيادة الأموية.

ثانياً: إعلان الخلافة الأندلسية

● إعلان الخلافة الأندلسية:

- في عام 316 هـ / 929م، أعلن عبد الرحمن الثالث (الناصر) الخلافة الأندلسية بعد أن أقر الأوضاع في الأندلس وأصبح سلطانها قوياً.
- القرار جاء في وقت ضعف الخلافة العباسية وظهور الخلافة الفاطمية في الشمال الأفريقي التي كانت تهدد سلطة الأندلس.
- عبد الرحمن الناصر قرر أن يعلن نفسه خليفة بدلاً من أن يظل بلقب أمير الذي ورثه عن أسلافه الأمويين.

● المنشور الرسمي:

- أصدر عبد الرحمن الناصر منشوراً في ذي الحجة سنة 316 هـ يُعلن فيه نفسه خليفة.
- عهد إلى أحمد بن بقي (القاضي) صاحب الصلاة في قرطبة أن يكون الخطبة يوم الجمعة في بداية ذي الحجة تحتوي على هذا الإعلان.
- الكتب صدرت إلى العمال، ونسخة الرسالة كانت تحمل مضموناً مهماً.

● نص الرسالة:

- النص يبدأ بـ "بسم الله الرحمن الرحيم" وتحدث عن أحقية عبد الرحمن الناصر في الخلافة.
- أشار إلى أن السلطان الذي وصل إليه كان فضلاً من الله وأنه قد تم رفع سلطانه في الآفاق.
- تطرق إلى أن التمادي في ترك حقه بعد إسقاطاً للسمعة الثابتة لهذا المنصب، وهو ما دفعه لإصدار هذا القرار.
- في المنشور جاء تأكيد على ضرورة الخطبة ومخاطبته بالخلافة، مشيراً إلى أن أي شخص آخر يدعي هذا المنصب هو دخيل ومنتحل له.

● التوجيهات العملية:

- أمر عبد الرحمن الناصر الخطيب في قرطبة أن يبدأ الخطبة بهذا المنصب الجديد، ويطلب من الجميع مخاطبته كـ "أمير المؤمنين".
- هذا القرار كان تأكيداً قوياً على سلطته وتطلعه لفرض نفسه كـ خليفة حقيقي على الأندلس.

● إعلان عبد الرحمن الناصر بالخلافة:

- أمر عبد الرحمن الناصر بأن تُكتب عبارة "الناصر لدين الله أمير المؤمنين" على أعلامه وطراره ودناتيره ودراهمه، مما يثبت التحول من إمارة أندلسية إلى خلافة أندلسية.
- استمر خلفاء عبد الرحمن الناصر في استخدام لقب خليفة حتى سقوط الدولة الأموية في الأندلس في سنة 422 هـ / 1031م.

● أسباب إعلان عبد الرحمن الناصر نفسه خليفة:

- ضعف الخلافة العباسية:

- في العصر العباسي الثاني، كانت الخلافة العباسية تعاني من الضعف بسبب ازدياد نفوذ الأتراك وعدم قدرة الخلفاء على السيطرة على بلدان الدولة.
- قيام الخلافة الفاطمية في المغرب:

- الخلافة الفاطمية كانت شيعية ولا تعترف بالخلافة العباسية. كانوا يرون أن الخلافة يجب أن تكون في آل بيت رسول الله.
- الفاطميون شجعوا الأمويين على إعلان الخلافة في الأندلس لكي تعزز هيبتهم السياسية والدينية أمام رعاياهم.
- رفع مكانة الحاكم الأندلسي:

- في نهاية عصر الإمارة، تعرضت الأندلس لعدة ثورات وفتن داخلية. بعد أن نجح عبد الرحمن الناصر في القضاء على هذه الثورات، أصبح هناك حاجة لرفع مكانته السياسية والدينية.
- استجابة لرغبة أهل الأندلس:

- أهل الأندلس طلبوا من الأمير عبد الرحمن أن يعلن نفسه خليفة، وهو ما تحقق بعد فترة من الاستشارة.
- مقارنة بين الخلافات الثلاثة:

- في العالم الإسلامي كان هناك ثلاث خلافات في وقت واحد:

- الخلافة العباسية المتداعية.
- الخلافة الفاطمية الناشئة في المغرب.
- الخلافة الأموية في الأندلس.
- الخلافة الأموية كانت أكثر ديمقراطية مقارنة بالخلافات الأخرى:

- الخلافة العباسية كانت تقوم على الاستبداد، والخليفة يعتبر نفسه مفوضاً من الله.
- الخلافة الفاطمية كانت تعتبر الخليفة إماماً معصوماً عن الخطأ.
- أما الخلافة الأموية في الأندلس فكانت تتبع الديمقراطية، حيث كانت تستمع إلى آراء المعارضة. مثال على ذلك هو مدينة الزهراء، التي أنفق عبد الرحمن الناصر عليها أموالاً طائلة، رغم معارضة قاضي قرطبة الذي هاجمه على المنبر واتهمه بالإسراف والتبذير. ولكن عبد الرحمن الناصر لم يعاقبه أو يعزله، بل تركه وشأنه.

● مميزات الدولة الأندلسية:

- الوحدة والتجانس بين الحاكم والمحكوم كانت من أبرز سمات الدولة الأندلسية، وهو ما ميزها عن الخلافات الأخرى.

- كانت الأندلس تعتبر ثغراً من ثغور المسلمين، حيث تواصل عملية الجهاد وحفظ حدود الإسلام.

● ختاماً:

- تمثل الخلافة الأموية في الأندلس مرحلة هامة من تاريخ الوحدة الإسلامية، والتي شهدت تطوراً سياسياً ودينياً، وجعلت الأندلس قوة مؤثرة في العالم الإسلامي.

ثالثاً: سياسة الناصر الخارجية

الخطر الفاطمي في المغرب

عند تأسيس الدولة الفاطمية في المغرب، كان الفاطميون يهدفون إلى غزو الأندلس من أجل جعل المغرب الإسلامي كله تحت السيطرة الفاطمية الشيعية. بذلك كان العالم الإسلامي منقسماً إلى قسمين: القسم الشرقي التابع لخلافة العباسيين السنية، والقسم الغربي التابع

لخلافة الفاطميين الشيعية. لتحقيق هذا الهدف، أرسل الفاطميون العيون إلى الأندلس للتجسس على أوضاعها الاجتماعية، السياسية، والاقتصادية، حيث لعب الجواسيس مثل ابن حوقل دورًا كبيرًا في الدعاية الفاطمية داخل الأندلس، وقد قدموا معلومات غزيرة إلى الخلفاء الفاطميين، مما ساعدهم على جذب أنصار لهم في الأندلس من العناصر الناقمة على حكم قرطبة.

رد فعل عبد الرحمن الناصر:

- خوف عبد الرحمن الناصر من خطر الفاطميين الطامعين في الأندلس دفعه إلى اتخاذ خطوات مضادة لحماية حدوده.
- إعلان عبد الرحمن الناصر نفسه خليفة كان جزءًا من محاولته إضفاء مهابة على سلطانه والتصدي للتهديد الفاطمي.
- كما بث بذور الفتنة بين قبائل البربر في المغرب، حيث انضم إليه الأدارسة أمراء العدو وملوك زناته، وأمدهم عبد الرحمن بالمال والعتاد.
- دعمه للثوار ضد الفاطميين مثل موسى بن أبي العافية جعل جمعهم يكبر ويشكل تهديدًا للفاطميين.

خطوات عبد الرحمن الناصر لتأمين الأندلس:

- استيلاء عبد الرحمن الناصر على ثغري سبتة وطنجة كان جزءًا من خطته لتأمين الحدود مع المغرب وحماية مضيق جبل طارق من الهجمات الفاطمية.
- توثيق العلاقة مع أمراء تاهرت وتشجيع الثوار ضد الفاطميين مثل أبي يزيد مخلد بن كيداد كان جزءًا من سياسة عبد الرحمن لمواجهة تهديد الفاطميين.
- إنشاء أسطول بحري قوي كان هدفه منافسة أسطول الفاطميين في البحر المتوسط، وحماية سواحل الأندلس ضد أي هجوم.

المواجهة البحرية:

- في سنة 344هـ، هاجم الأسطول الفاطمي بقيادة الحسن بن علي مدينة المرية، حيث أحرق السفن في الميناء و سلب المدينة وأسر العديد من سكانها.
- ردًا على ذلك، قائد أسطول عبد الرحمن الناصر غالب شن غارة على سواحل أفريقيا في سنة 345هـ، مستخدمًا 60 سفينة لتدمير منطقة سوسة.

التحالفات الدولية:

- الناصر وطد علاقته مع أعداء الفاطميين، حيث تحالف مع ملك إيطاليا جودي بروفانس، الذي كان غاضبًا من الفاطميين لتدميرهم ميناء جنوة.
- كما تحالف مع إمبراطور بيزنطة، الذي كان يسعى إلى استرداد صقلية من الفاطميين.
- كما عقد تحالفات مع الإخشيديين في مصر وأرسل الفقهاء المالكية من الأندلس إلى مصر لمحاربة المذهب الشيعي، مما ساهم في إضعاف الفاطميين ومنعهم من غزو الأندلس.

النتيجة:

- سياسة عبد الرحمن الناصر نجحت في منع الفاطميين من غزو الأندلس، وعززت استقرار الأندلس ضد التهديدات الخارجية.

الخطر الأسباني المسيحي في الشمال

- فتح المسلمين الأندلس: تركوا منطقة جليقية الجبلية دون فتح بسبب وعورتها، وأهملوا أمر الجماعات المستضعفة فيها.
- نمو منطقة جليقية: استغلت الحروب الداخلية في الأندلس ونمت، ثم قويت في عهد ألفونسو الأول الذي استولى على مدينة ليون، وسيطر على المنطقة الشمالية الغربية التي صارت تعرف بمملكة ليون.

- **حصن مملكة ليون:** قامت بتحصين حدودها ضد المسلمين من خلال سلسلة من القلاع، التي اتحدت فيما بعد في مملكة قشتالة في القرن الرابع الهجري.
- **حركة المقاومة الإسبانية:** انتشرت من مملكة ليون و مملكة قشتالة إلى سفوح جبال البرانس شرقي الأندلس، وأهمها مملكة نافار التي سيطرت على المعابر الجبلية التي تربط إسبانيا بأوروبا.
- **دعم القوى النصرانية:** نشأت هذه الممالك في الجبال خوفاً من المسلمين، ثم بسطت نفوذها على السواحل واستولت على أراضي المسلمين. كما كانت تستمد العون من فرنسا و العالم الكاثوليكي و البابوية.
- **تحالف ملوك نافار وليون ضد المسلمين:** في عهد عبد الرحمن الناصر، تحالف سانشو الأول ملك نافار و أوردينو الثاني ملك ليون لمهاجمة أراضي المسلمين في الأندلس.
- **احتلال المدن:** احتل الملكان بعض المدن واستولوا على أراضي، وهاجما مدينة سرقسطة.
- **رد عبد الرحمن الناصر:** تصدى عبد الرحمن الناصر لهذا التهديد، فحاض عدة حروب ضد الملكين، وهزمهم، وهدم حصونهم، واسترد مدينة تطيلة.
- **حرب مع راميرو الثاني:** استمرت الحرب ضد راميرو الثاني ملك أراجون، الذي واصل القتال.
- **أشد الحروب:** من أشد الحروب بين عبد الرحمن الناصر و راميرو الثاني كانت حملة نجده الصقلي ضد راميرو، ولكن الحملة انتهت بهزيمة المسلمين عند خندق مدينة شمنقة سنة 327هـ.
- **أسباب الهزيمة:** من أسباب الهزيمة كان الانقسام بين العرب والصقالبة أثناء المعركة، و مقتل القائد نجده الصقلي، بينما نجح عبد الرحمن الناصر وقلة من الجند من أيدي العدو بأعجوبة.
- **نتيجة الهزيمة:** بعد الهزيمة، عبد الرحمن الناصر لم يشارك في غزوة أخرى.
- **هزيمة عبد الرحمن الناصر:** رغم هزيمته في معركة شمنقة، لم تؤثر هذه الهزيمة على قوته العسكرية في الأندلس. بل استمر في السيطرة على بلاد الأندلس ووقف حملات النصارى ضد المسلمين.
- **حملات الناصر ضد النصارى:** شن عبد الرحمن الناصر عدة حملات ضد ممالك النصارى، مما أوقف تقدمهم في الأراضي الإسلامية، وأصبح سيد الأندلس بلا منازع.
- **وفاة راميرو الثاني:** بعد وفاة راميرو الثاني ملك ليون، نشب النزاع بين ولديه أوردينو و سانشو على العرش.
- **الناصر حكم بين الملوك:** أصبح عبد الرحمن الناصر حكماً بين الولدين المتنازعين، مما جعل ممالك النصارى تتحالف معه.
- **تحالف ممالك النصارى:** بفضل سياسته الحكيمة، نجح عبد الرحمن الناصر في كسب صداقته مع ممالك النصارى وأجبرهم على احترامه.
- **علاج سانشو:** عندما كان سانشو ملك نافار يعاني من السمّة، طلب علاجاً من قرطبة، فأرسل عبد الرحمن الناصر إليه طبيباً ماهراً، هو حسداي بن شبروط الإسرائيلي، الذي نجح في علاجه.
- **زيارة سانشو إلى قرطبة:** بعد نجاح العلاج، زار سانشو قرطبة على رأس وفد من كبار رجال إمارته لشكر عبد الرحمن الناصر، الذي أكرم وفادته وأرسل له طبيباً آخر لمواصلة العلاج.
- **نتيجة العلاج:** نتيجة لهذه العلاقة، تم عقد تحالف بين سانشو و عبد الرحمن الناصر، مما أسفر عن حصول المسلمين على حصون على حدود مملكة نافار.
- **الاحتكام إلى قرطبة:** كان ملوك ليون وأراغون يقدون إلى قرطبة للاحتكام إلى عبد الرحمن الناصر لحل نزاعاتهم.
- **عزل سانشو:** عندما عزل سانشو عن عرشه، طلب مساعدته من عبد الرحمن الناصر، فبعث إليه جيشاً أعاده إلى العرش في 349هـ.
- **دلالة هذا الحدث:** هذه الأحداث تدل على أن عبد الرحمن الناصر استطاع أن يبسط نفوذه على الشمال المسيحي، ويكون له اليد العليا في حل مشكلات الملوك المسيحيين.

الخطر النورماندي

- **التهديد النورماندي في عهد عبد الرحمن الأوسط:** هاجم النورمان سواحل الأندلس عدة مرات في عهد عبد الرحمن الأوسط، لكن عبد الرحمن الأوسط تمكن من صد هذه الهجمات.
- **الخطر النورماندي في عهد الخليفة الناصر:** في عهد الخليفة الناصر، لم تذكر غارات بحرية للنورمان على السواحل الأندلسية، ولكن الخطر النورماندي بدأ يصبح أكثر استقراراً وثباتاً.

- **قاعدة النورمان في نورمانديا:** أسس النورمان قاعدة بحرية بالقرب من ثغور الأندلس الشمالية وسواحلها الغربية في **نورمانديا** في غرب فرنسا.
- **تاريخ تأسيس نورمانديا:** تعود تاريخ هذه القاعدة إلى **300هـ**، أثناء النزاعات بين أفراد الأسرة الكارولنجية، حيث أقطع شارل الثالث ملك فرنسا الزعيم النورماندي رولون هذه المقاطعة.
- **دور الزعيم النورماندي رولون:** اعتنق رولون المسيحية وتسمى بـ **روبرت**، وأصبح الزعيم النورماندي الذي شكل ولاية نورمانديا، التي شكلت تهديداً كبيراً للأندلس عبر الحملات البحرية والبرية.
- **التهديد البحري والبري:** كانت هناك **حملات بحرية** على السواحل الغربية للأندلس، بالإضافة إلى **حملات برية** عبر جبال البرانس في جنوب فرنسا، تهدف إلى شن غارات على الثغور الأندلسية الشمالية.
- **تصدي جيوش عبد الرحمن الناصر:** تصدت جيوش عبد الرحمن الناصر لهذه الحملات البرية والبحرية ومنعت النورمان من تحقيق أهدافهم التخريبية.
- **نجاح البحرية الأندلسية:** يعود الفضل في انتصارات المسلمين ضد النورمان إلى ارتقاء البحرية الأندلسية، التي وصلت إلى المستوى الحربي المطلوب للدفاع عن سواحل الأندلس.

العلاقات الدبلوماسية بين الناصر وملوك أوروبا

- **سياسة الخليفة الناصر الدبلوماسية:** اتبع الخليفة الناصر سياسة الاحترام والتبادل الدبلوماسي مع الممالك الإسبانية والدول المجاورة، حيث تم تبادل السفارات والهدايا مع ملوك الدول المسيحية بسبب قوة جيشه، غنى الأندلس، الازدهار العلمي، و الأمن والاستقرار في الأندلس، بالإضافة إلى الموقع الجغرافي المهم لها.
- **شهادة المقرئ:** يذكر المقرئ في كتابه "نفح الطيب" أن ملك الأندلس كان في غاية الضخامة ورفعة الشأن، وأنه هادن الروم و أزلفت إليه العديد من الممالك المسيحية مثل الروم والافرنجة والمجوس، معترفاً بسلطانه ومؤكدين رغبتهم في علاقات ودية معه.
- **العلاقات مع ملوك أوروبا:** لم تقتصر علاقات الناصر الدبلوماسية على الممالك الإسبانية الشمالية فقط، بل كانت له علاقات مع ملوك أوروبا. وقد توجهت الوفود والسفارات من جميع أنحاء أوروبا إلى الأندلس، طالبين ود قرطبة و السلام مع الخليفة.
- **سفارة الملكة طوطة تودة (نافار):** من أبرز تلك السفارات، سفارة الملكة طوطة تودة أميرة نافار (نبرة) في عام **322هـ / 934م**، حيث عقدت اتفاق سلام مع الخليفة الناصر، وحصلت على اعترافه بـ ابنها غرسية سانشز ملكاً على نبرة.
- **نقض طوطة الصلح:** لكن طوطة نقضت الصلح في عام **325هـ / 937م**، مما استدعى الخليفة الناصر إلى توجيه حملة عسكرية إلى الشمال الإسباني لتأديب نبرة بسبب نقض الاتفاق.
- **سفارة بيزنطة في عهد الخليفة الناصر:** في عام **338هـ / 949م**، وصل رسل الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع إلى الأندلس، حاملاً هدية رائعة من الإمبراطور. وكان هذا الحدث مهماً في تاريخ العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وبيزنطة.
- **استقبال الخليفة للرسول:** استقبل الخليفة الناصر رسل الإمبراطور بحفاوة كبيرة، حيث اصطف العساكر في أبهى مظهر لهم، وزين القصر الخلافي بأفضل الزينة، وضربت الصقور من أجل استقبالهم.
- **مرافقة الرسول:** عين الخليفة أحد قواده لمرافقة الرسول من الميناء إلى قرطبة، حيث تم استقبالهم بالعديد من القادة العسكريين، وكانوا يتلقونهم قائداً بعد قائد، مما يظهر احترام الخليفة واهتمامه بكرامة الوفد.

- إقامة الرسل في قصر قرطبة: تم إعداد قصر خاص لاستقبال رسل بيزنطة، و أحيط القصر بحراسة مشددة لضمان حماية الوفد ومنع الناس من الاقتراب، مما يعكس أهمية هذه الزيارة.
- اللقاء الرسمي: بعد مرور شهر على قدوم الرسل، قرر الخليفة الناصر المقابلة الرسمية لهم في قصر قرطبة، وكان ذلك في 11 ربيع الأول سنة 338هـ. عقد اللقاء في بهو المجلس الزهراء الذي كان يعتبر من أجمل قاعات القصر.
- ترتيب الجلوس في اللقاء: جلس الخليفة الناصر في منتصف القاعة، إلى يمينه الحكم المستنصر ولي العهد، بينما جلس عبد الله، عبد العزيز، الأصغر، ومروان على اليمين، بينما جلس المنذر، عبد الجبار، وسليمان على يسار الخليفة.
- الوصف التفصيلي للقاعة: كانت القاعة مزينة بأفضل البسط والديباج، مع الثريات البراقة، وكان الجو مهيباً وهادئاً حتى وصول الرسل إلى باب القاعة، حيث كانوا يمرون بين صفوف القواد، الذين كانوا يحملون أسلحتهم على شكل أقواس.
- تقديم الهدية: بعد أن دخلوا القاعة، قدم رسل الإمبراطور البيزنطي الهدية إلى الخليفة الناصر، الذي رد عليهم برسائل موقعة، ثم عادوا إلى القسطنطينية حاملين الهدايا للإمبراطور.
- الدبلوماسية بين أوتو الكبير والخليفة الناصر: نتيجة للغارات التي كان يقوم بها المجاهدون المسلمون على السواحل الجنوبية لإمبراطورية الفرنجة، نشأت دبلوماسية بين أوتو الكبير ملك الفرنجة والخليفة عبد الرحمن الناصر. حيث أرسل أوتو الكبير رسالة شديدة اللهجة إلى الخليفة الناصر، يطالبه بوقف أعمال القرصنة والتخريب في السواحل الجنوبية لإمبراطوريته.
- رد الخليفة الناصر: أجاب الخليفة الناصر على الرسالة برسالة مماثلة في سنة 339هـ، تؤكد رفضه لتلك الاتهامات، وتعبّر عن استيائه من هذا الطلب.
- إرسال الراهب جان دي جورز: بعد عدة أعوام، أرسل أوتو الكبير رسالة أخرى إلى الخليفة الناصر، وكانت هذه المرة عبر الراهب جان دي جورز. فاستقبل الخليفة الناصر الراهب في قرطبة وأقامه في قصر بجوار الكنائس حتى يتمكن من أداء شعائره الدينية.
- الرفض والتفاوض: كان الخليفة الناصر على دراية بمحتوى الرسالة، وعلم بأنها شديدة اللهجة وتتضمن افتراءً على الإسلام. رغم إصرار الراهب على تقديم الرسالة، رفض الخليفة تسلمها.
- عودة الراهب مع رسول آخر: في المقابل، عاد الراهب مع ربيع بن زيد، أحد المستعربين الذي يجيد اللغتين العربية واللاتينية. وقد أرسل أوتو الكبير رسالة جديدة إلى الخليفة لا تسيء للإسلام. استقبل الخليفة الناصر رسول الإمبراطور بحفاوة في احتفال كبير، وهو ما يعكس حرص الخليفة على الحفاظ على العلاقات مع إمبراطورية الفرنجة.
- دور البحارة الأندلسيين: هذه الحوادث تشير بوضوح إلى النشاط البحري الكبير الذي كانت تقوم به البحرية الأندلسية في حوض البحر المتوسط، وهو ما جعل الإمبراطور البيزنطي والإمبراطور الفرنجي يتدخلان دبلوماسياً لدى الخليفة الناصر للحد من هذه الأنشطة.

رابعاً : الصقالبة أيام الخلافة

- الصقالبة في الأندلس: أطلق الجغرافيون العرب اسم "الصقالبة" على الشعوب السلافية المنتشرة من شواطئ بحر قزوين شرقاً إلى البحر الإديرياتي غرباً، وهي المناطق التي كانت تُعرف في العصور الوسطى باسم بلغاريا العظمى.
- أسباب التسمية: دأبت بعض القبائل الجرمانية على سبي الشعوب السلافية وبيعها في أسواق الرقيق، وتحديداً في أندلس العرب، لذلك أطلق العرب عليهم اسم الصقالبة. ومع مرور الوقت، توسع العرب في استخدام هذا الاسم ليشمل جميع الأرقاء الذين يأتي بهم التجار من بلدان وسط أوروبا، جنوبها، شواطئ البحر الأسود، و بلاد كلابريا ولومبارديا في إيطاليا، وكذلك

قطلونية وجليقية في شمال إسبانيا.

- **المصدر الأوروبي للرقيق:** بدأ الإقبال على الرقيق ذي المصدر الأوروبي في الازدياد منذ أيام الحكم الأول في الأندلس، حيث كان هؤلاء الأرقاء يعملون في بلاط الخلفاء وقصور الحريم أو يلحقون بالجيش. وكان أغلب هؤلاء الصقالبة أطفالاً يتم تربيتهم تربية إسلامية في الأندلس، حيث يتعلمون اللغة العربية ويتدربون على آداب المجتمع وفن الفروسية.
- **دور التجار اليهود:** كان التجار اليهود هم الذين يتولون استيراد وتدريب هؤلاء الأرقاء، وبعد تدريبهم، كانوا يُباعون بأسعار باهظة في الأسواق الأندلسية.
- **المكانة الاجتماعية للصقالبة:** تمكن عدد كبير من الصقالبة من الارتقاء في المجتمع القرطبي، حيث أصبح منهم أدباء وشعراء، بالإضافة إلى أصحاب المكتبات والضياع الواسعة. وتزايدت أعدادهم في عهد الخليفة الناصر، حيث عهد لهم بالكثير من الوظائف الإدارية والعسكرية في بلاطه.
- **الوظائف والمناصب:** كان يُطلق على الصقالبة الذين يصلون إلى مراتب عالية في البلاط لقب "فتى" (جمعها فتيان)، وكان الخليفة الناصر يختار منهم أشخاصاً لتعيينهم في مجلسه أو انتدابهم لمهام خاصة أو سفارات لدى ملوك أوروبا.
- **عدد الصقالبة في الأندلس:** ازداد عدد الصقالبة في الأندلس مع مرور الوقت، حتى وصل في عهد الخليفة الناصر إلى حوالي 3750 من الرجال و 6250 من النساء، على الرغم من أن الأرقام كانت مختلفة في تقديرها. ومع ذلك، فهي تشير إلى وجود طبقة جديدة في المجتمع الأندلسي شبيهة بـ المماليك الأتراك في المشرق الإسلامي.
- **حرية الصقالبة:** كانت العادة أن يمنح الخليفة أو الأمير أو أي زعيم الصقالبة حرية على حياتهم، وكان يمكن أن يُوصى بأن يتم ذلك كلياً أو جزئياً بعد وفاته. ونظراً لعددهم الكبير، أصبحت هذه الفئة تشكل طبقة خاصة في المجتمعات الحضرية الكبرى والعاصمة تحديداً. وكان العديد من الصقالبة الذين عاشوا في بلاطات الخلفاء أو في قصور الوزراء قد جمعوا ثروات ضخمة وحققوا ثقافة وعلماً وأدباً، مما يدل على أهمية هذه الطبقة في المجتمع الأندلسي. كما شكلوا طبقة متكاتفه للدفاع عن مكتسباتهم ومصالحهم.
- **دور الصقالبة في الأندلس:** لعبت هذه الفئة دوراً مهماً خلال الاضطرابات التي سادت الأندلس قبل سقوط الخلافة الأموية. حيث اعتمد الأمويون على الصقالبة في الجيش والحكومة لحد من نفوذ الأرستقراطية العربية وتقليص سيطرة الجند من العرب والبربر.
- **معركة الخندق أو شمنقة:** كان من أبرز الأمثلة على ذلك القيادة العسكرية للصقالبة عندما عين عبد الرحمن الناصر أحد الصقالبة لقيادة حملة، والتي انتهت بهزيمة وبمقتل قائدها أمام ملك ليون راميرو الثاني في وقعة الخندق أو شمنقة. لكن لم تؤثر هذه الهزيمة على قوة الناصر العسكرية، بل استمر في صراعه مع أهل الشمال حتى انتصار عليهم في النهاية.
- **تأثير وفاة راميرو الثاني ملك ليون:** بعد وفاة راميرو الثاني ملك ليون، دب النزاع بين أبنائه أوردينو وسانشو، وكان الناصر هو الحكم بينهما. يذكر التاريخ أن سانشو كان مفرط السمته لدرجة أنه كان يفشل في ركوب حصانه، ما جعله موضع سخرية في نظر شعبه، مما ساعد في فقدانه عرشه لصالح أخيه.
- **مساعدة الناصر لسانشو:** في محاولة لاستعادة عرشه، طلب سانشو من عبد الرحمن الناصر مساعدته بجيش وطبيب. فاستجاب له الناصر، وأرسل له الطبيب اليهودي حسداي بن شبروط الذي كان ماهراً في الطب وملماً بلغة أهل الشمال. نجح حسداي في مساعدة سانشو على الشفاء من سمته، وتوصل إلى اتفاق مع سانشو لتسليم عشرة حصون على حدود مملكته مقابل المساعدة العسكرية.
- **توقيع المعاهدة في قرطبة:** تم توقيع المعاهدة في قرطبة، وذهب سانشو مع جدته طوطة وعدد من رجال دولته إلى قرطبة، حيث استقبله الناصر في قصر الزهراء استقبلاً فخماً. ثم سير الناصر جيشاً إلى ليون لاستعادة عرش سانشو، وهو ما تحقق.

في سنة 349هـ / 960م.

- دور الناصر في الشمال المسيحي: تشير هذه الحادثة إلى أن الناصر كان قادرًا على بسط نفوذه على الشمال المسيحي والفصل في مشاكل ملوكهم، حيث كان يولي من يشاء ويعزل من يشاء.

خامساً : بناء مدينة الزهراء

- عصر عبد الرحمن الناصر كان مليان بالرخاء والازدهار في الاقتصاد والعمارة، رغم الحروب والغزوات.
- الأندلس أصبحت واحدة من أغنى الدول في تلك الفترة، ودخل الدولة وصل إلى عشرين مليون من الذهب.
- الزراعة والصناعة والتجارة تطورا بشكل ملحوظ.
- دخل الدولة من الجباية وصل لأكثر من خمسة ملايين دينار.

سياسة تقسيم الجباية:

- ثلث للجيش.
- ثلث للبناء والمنشآت العامة.
- ثلث للطوارئ.
- من أبرز إنجازات عبد الرحمن الناصر كان تنظيم العملة، حيث أسس دار السكة في قرطبة في 928م لضرب العملة، وعيّن أحمد بن حدير مسؤولاً عن السكة.

المنشآت المعمارية في عهده:

- أبرز مشروع كان مدينة الزهراء.

أحمد كرم

- القسم الأعلى: يحتوي على قصور الخليفة.
- القسم الأوسط: يحتوي على بساتين وحدائق.
- القسم الأسفل: يحتوي على المسجد والمنازل.
- مدينة الزهراء اتبنت على سفح جبل العروس، وكان فيها أعمدة رخامية ضخمة جلبت من تونس وقسطنطينية.
- رغم أن بناء المدينة ما اكتمل في عهده، إلا أنه انتقل للعيش فيها في 947م ونقل إليها بيت المال وأسرته.
- قرطبة فضلت العاصمة الرسمية رغم نقل عبد الرحمن الناصر إلى الزهراء.
- بعد 60 سنة من بناء المدينة، دمرتها الفتن في آخر أيام الدولة الأموية.

وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر

- موت الخليفة عبد الرحمن الناصر كان في سنة 350هـ / 961م وهو في الـ73 من عمره بعد حكم دام نصف قرن.
- بعد وفاته، تولى الحكم ابنه الحكم الثاني المستنصر بالله من سنة 350هـ / 961م إلى 366هـ / 976م.
- في عهده، كانت الأندلس مستقرة على أسس ثابتة وموحدة.
- حدود الأندلس كانت آمنة وكانت تتمتع بالتقدم والعمران الباهر.
- الحكم الثاني المستنصر بالله كان قد أعده والده عبد الرحمن الناصر لتولي هذا المنصب، حيث أسند إليه أمورًا مهمة في حياته.
- الحكم المستنصر استمر في سياسة والده وحافظ على الاستقرار، وأطلق مشاريع جديدة، بالإضافة إلى المشاريع التي بدأها والده.

الخليفة الحكم الثاني المستنصر بالله 350 - 366هـ / 961-976 م

- وفاة عبد الرحمن الناصر وتولي الحكم المستنصر: توفي الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله في قصره بمدينة الزهراء، وترك الخلافة لابنه الحكم المستنصر الذي تولى الحكم بعد وفاة والده في رمضان سنة 350هـ / 961م.

● الإنجازات في عهد عبد الرحمن الناصر:

- إعادة الوحدة للأندلس.
- قضاء على عصر الفتنة والتمزق.
- سحق الثائرين والمتمردين.
- حماية حدود الأندلس من جيرانه النصارى.
- إيقاف الاسترداد المسيحي وعودة ملوك النصارى إلى التبعية للأندلس.
- تقوية أسطول الأندلس ليكون قوة فاعلة في المتوسط الغربي والمحيط الأطلسي.
- الحكم المستنصر وتعيينه الحجاب:
 - الحكم المستنصر كان قد تخطى مرحلة الشباب عندما تولى الخلافة، وكان قد دربه والده عبد الرحمن الناصر على أساليب الحكم.
 - تولى جعفر المصحفي الحجابة وظل في منصبه طوال فترة خلافة الحكم المستنصر.
 - هدية كبيرة من جعفر المصحفي تدل على الرخاء والرفاهية في عهد الحكم المستنصر.
 - اهتمام الحكم المستنصر بالعلم:
 - كان عاشقاً للعلم وجمع الكتب النادرة من جميع أنحاء العالم الإسلامي.
 - كان له عملاء في بغداد والقاهرة ودمشق ينسخون أو يشترون الكتب له مهما كانت أسعارها.
 - يذكر أنه عندما علم الحكم المستنصر بأن أبا الفرج الأصفهاني يكتب كتاب "الأغاني"، أرسل إليه ألف دينار وطلب منه إرساله له قبل نشره في المشرق.
 - المكتبة العلمية في الزهراء:
 - تكونت في القصر الملكي بمدينة الزهراء مكتبة ضخمة تحتوي على حوالي 400 ألف مجلد في مختلف الفنون والعلوم.
 - كان حكمه مصحوباً بتشجيع العلماء والاعتناء بهم، وتوفير بيئة علمية مميزة.
 - العلماء في بلاط الحكم المستنصر:
 - من أبرز العلماء الذين ظهروا في بلاط الحكم المستنصر:
 - أبا علي الفالي، العالم اللغوي من العراق.
 - أبا بكر محمد بن القوطية، المؤرخ القرطبي.
 - محمد بن حارث الخشني، العالم المغربي الذي كتب "تاريخ القضاء في الأندلس".
 - ربيع بن زيد، الأسقف المستعرب الذي اهتم بالفلك والفلسفة.
 - تعليم الفقراء والمساكين:
 - عمل الخليفة الحكم المستنصر على تيسير الحصول على تعليم للفقراء والمساكين.
 - تم تعيين مؤدبين لتعليم أولاد الضعفاء والمساكين القرآن في مكاتب خاصة موزعة في قرطبة.
 - بلغ عدد هذه المكاتب 27 مكتباً، منها ثلاثة مكاتب قرب المسجد الجامع والبقية في أرباض المدينة.
 - الازدهار العلمي في الأندلس:
 - شهدت الأندلس في القرن الرابع الهجري ازدهاراً علمياً كبيراً بفضل الخليفة الحكم المستنصر الذي جعل من قرطبة مركزاً علمياً هاماً في العالم الإسلامي.

سياسة المستنصر في المغرب ومواجهة الخطر الشيعي

- **سياسته العدائية:** الخليفة المستنصر سار على نهج والده في سياسة معاداة الفاطميين، حيث في سنة 353 هـ تحرك بنفسه من قرطبة إلى ثغر المرية لمعاينة الحصون والاستعداد لأي هجوم فاطمي على الأندلس.
- **الفاطميون والمخاطر:** الفاطميون شعروا بصعوبة غزو الأندلس ووجودهم في المغرب كان محفوقاً بالمخاطر بسبب النزاعات الداخلية بين البربر وغارات الأمويين.
- **الانتقال إلى مصر:** في 358 هـ / 969م، استولى القائد جوهر على مصر وأسس القاهرة. ثم لحق به الخليفة المعز في 362 هـ تاركاً حكم المغرب لحلفائه من بنى زيري من قبائل صنهاجة.
- **التنافس في المغرب:** استمر التنافس بين الفاطميين والأمويين في المغرب على أساس المنافسة بين قبائل صنهاجة وزناتة، حيث كانت الفوضى والاضطرابات تسيطر على المنطقة. سيطرت الدولة الزييرية على النصف الشرقي من المغرب، بينما سيطرت زناتة وحلفاؤها الأمويين على القسم الغربي.
- **التوازن بين الخلافتين:** نتج عن التنافس بين الخلافتين في المغرب نوع من توازن القوى، ما أدى إلى خفوت وطأة الخطر الفاطمي على المغرب والأندلس.
- **العداء المستمر:** رغم الابتعاد الجغرافي بين الخلافتين، استمر العداء، حيث أرسل الخليفة الفاطمي العزيز بالله خطاباً هجومياً ضد الخليفة الأموي الحكم المستنصر، الذي رد عليه بعبارة حاسمة تُشير إلى الطعن في نسبه.
- **التغيير في مواقف الأدارسة:** الأدارسة وأمراء زناتة في العدو المغربية طمعوا في الاستقلال بعد ابتعاد الخطر الفاطمي، مما ساعدهم على استعادة بعض المناطق.
- **حفاظ الأندلس على مضيق جبل طارق:** الخليفة الحكم المستنصر استمر في الاعتقاد بوجود الخطر الفاطمي وضرورة الحفاظ على السيطرة على مضيق جبل طارق، فقام بمحاولات للسيطرة على القواعد المغربية المطلّة عليه.
- **ثورة الأدارسة:** في 361 هـ / 972م، قاد الحسن بن جنون ثورة ضد الأمويين واحتل مناطق مثل طنجة وتطوان وأصيلا وقلعة شاهقة تسمى "حصن الحجر".
- **تغيير السياسة الأموية:** أمام التمرد المتزايد، قررت الدولة الأموية تغيير سياستها التقليدية في المغرب، واتباع سياسة التدخل المسلح لحماية الأندلس من التهديدات القادمة من الجنوب.
- **سياسته العدائية:** الخليفة المستنصر سار على نهج والده في سياسة معاداة الفاطميين، حيث في سنة 353 هـ تحرك بنفسه من قرطبة إلى ثغر المرية لمعاينة الحصون والاستعداد لأي هجوم فاطمي على الأندلس.
- **الفاطميون والمخاطر:** الفاطميون شعروا بصعوبة غزو الأندلس ووجودهم في المغرب كان محفوقاً بالمخاطر بسبب النزاعات الداخلية بين البربر وغارات الأمويين.
- **الانتقال إلى مصر:** في 358 هـ / 969م، استولى القائد جوهر على مصر وأسس القاهرة. ثم لحق به الخليفة المعز في 362 هـ تاركاً حكم المغرب لحلفائه من بنى زيري من قبائل صنهاجة.
- **التنافس في المغرب:** استمر التنافس بين الفاطميين والأمويين في المغرب على أساس المنافسة بين قبائل صنهاجة وزناتة، حيث كانت الفوضى والاضطرابات تسيطر على المنطقة. سيطرت الدولة الزييرية على النصف الشرقي من المغرب، بينما سيطرت زناتة وحلفاؤها الأمويين على القسم الغربي.
- **التوازن بين الخلافتين:** نتج عن التنافس بين الخلافتين في المغرب نوع من توازن القوى، ما أدى إلى خفوت وطأة الخطر الفاطمي على المغرب والأندلس.
- **العداء المستمر:** رغم الابتعاد الجغرافي بين الخلافتين، استمر العداء، حيث أرسل الخليفة الفاطمي العزيز بالله خطاباً هجومياً ضد الخليفة الأموي الحكم المستنصر، الذي رد عليه بعبارة حاسمة تُشير إلى الطعن في نسبه.
- **التغيير في مواقف الأدارسة:** الأدارسة وأمراء زناتة في العدو المغربية طمعوا في الاستقلال بعد ابتعاد الخطر الفاطمي، مما ساعدهم على استعادة بعض المناطق.
- **حفاظ الأندلس على مضيق جبل طارق:** الخليفة الحكم المستنصر استمر في الاعتقاد بوجود الخطر الفاطمي وضرورة الحفاظ على السيطرة على مضيق جبل طارق، فقام بمحاولات للسيطرة على القواعد المغربية المطلّة عليه.
- **ثورة الأدارسة:** في 361 هـ / 972م، قاد الحسن بن جنون ثورة ضد الأمويين واحتل مناطق مثل طنجة وتطوان وأصيلا وقلعة شاهقة تسمى "حصن الحجر".
- **تغيير السياسة الأموية:** أمام التمرد المتزايد، قررت الدولة الأموية تغيير سياستها التقليدية في المغرب، واتباع سياسة التدخل المسلح لحماية الأندلس من التهديدات القادمة من الجنوب.

- **تدخل الخليفة المستنصر:** لم يتردد الخليفة المستنصر في إرسال أساطيله وجيوشه عبر مضيق جبل طارق لاستعادة نفوذه في المغرب، مغطياً تدخله بصيغة دينية تتعلق بحماية الإسلام والسنة من الهرطقة الشيعية.
- **قائد الحملة:** أول من نفذ هذا التدخل كان الوزير والقائد محمد بن القاسم بن طلمس الذي عبر إلى سبتة في شوال 361 هـ، ثم لحقت به الأساطيل بقيادة عبد الرحمن بن رماحس.
- **الاستيلاء على طنجة:** بدأ الهجوم على طنجة برا وبحرا، وكان أمير الأدارسة الحسن بن جنون يقاوم، لكنه فشل في الدفاع عن المدينة وهاجر منها.
- **استسلام أهالي طنجة:** اضطر أهالي طنجة للاستسلام، حيث خرج شيخ المدينة ابن الفاضل ليطالب الأمان من قائد البحر ابن رماحس، وتم دخول المدينة في شوال 361 هـ (أغسطس 972م).
- **إحراق المنبر في أصيلا:** القائد محمد بن القاسم بن طلمس تعقب جيش الحسن بن جنون إلى ساحل الأطلسي، واحتل مدينة أصيلا حيث أحرق منبراً شيعياً في جامعها كان موسوماً باسم الشيعي معد ابن إسماعيل.
- **هزيمة الأندلسيين:** الحسن بن جنون جمع شمله من جديد وهاجم الجيش الأندلسي في "فحص مهران" بضواحي طنجة، محققاً هزيمة ساحقة، وقتل قائد الجيش محمد بن القاسم بن طلمس في ربيع الأول 362 هـ / 972م.
- **ردة فعل الخليفة المستنصر:** بعد الهزيمة، أصدر الخليفة المستنصر أوامر قوية لاستعادة نفوذه، معززاً بذلك معنوياته في تصرفاته وكتاباتاته التي وصلت إلى القادة في المغرب.
- **استدعاء القائد غالب:** استدعى الخليفة المستنصر وزيره وقائده غالب بن عبد الرحمن، ووجهه للتوجه إلى المغرب مع جيش كبير لقتال الحسن بن جنون، مع التهديد بعدم العودة إلا بالنصر أو الموت.
- **التوجيهات العسكرية:** الخليفة أرسل تعليمات إلى القادة في طنجة وأصيلا بعدم التفاوض مع الحسن بن جنون حتى وصول القائد غالب، مع ضرورة متابعة تحركات الحسن باستخدام الجواسيس.
- **التحرك العسكري:** في رمضان 362 هـ، أبحر غالب بن عبد الرحمن بجيوشه من الجزيرة الخضراء نحو طنجة، لكن عاصفة شديدة ردت أسطوله إلى الساحل لفترة، قبل أن يعبر مرة أخرى إلى طنجة.
- **تعاون الأساطيل:** في شوال 362 هـ، توجه قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس بأسطوله من طنجة إلى أصيلا للتعاون مع الأسطول الأندلسي في المنطقة، وهو ما أيده الخليفة المستنصر في خطاب موجه إلى ابن رماحس.
- **استدعاء يحيى التجيبي:** الخليفة المستنصر استدعى يحيى التجيبي من سرقسطة، وأرسله إلى المغرب لينضم إلى القائد غالب بن عبد الرحمن. كما أرسل الشعراء والقضاة والأمناء للمساعدة في جمع المعلومات الاستخباراتية.
- **الدور الإعلامي للمبعوثين:** من بين هؤلاء المبعوثين كان الشاعر محمد بن حسين التميمي المعروف بالطبني، الذي أرسل للتعرف على أخبار المغرب. كما أرسل القاضي محمد بن أبي عامر الذي أصبح لاحقاً المنصور، وقلده المستنصر قضاء العدو المغربية وأصبح عيناً على العسكر.
- **الحصار على "حجر النسر":** الأمويون شددوا الحصار حول حصن ابن جنون المعروف بـ "حجر النسر"، ونتيجة لضغط الحصار، اضطر الحسن بن جنون إلى الاستسلام وطلب الأمان. دخل غالب الحصن وصلى فيه صلاة الجمعة في 29 جمادى سنة 363 هـ / 27 مارس 973م.
- **عودة غالب مع الحسن بن جنون:** بعد إخماد الثورة، عاد القائد غالب إلى الأندلس ومعه الحسن بن جنون وأقاربه الأدارسة، وكان دخولهم إلى مدينة الزهراء مشهداً فخماً يعكس هيبة السلطة.
- **السيطرة على مضيق جبل طارق:** بتصفية هذه الثورة، تمكن الخليفة المستنصر من ضمان السيطرة على مضيق جبل طارق وحماية الأندلس من أي تهديد شيعي أو زيري من المغرب.
- **تعيين الأمير جعفر بن علي:** الخليفة المستنصر عين الأمير جعفر بن علي ابن حمدون أميراً على المنطقة التي كانت تسيطر عليها الأدارسة، فقام بتعاون مع قبائل زناتة مثل مغراوة وبنو يفرن لمواجهة التهديدات.
- **تدهور صحة الخليفة المستنصر:** بعد فترة قصيرة، أصيب الخليفة المستنصر بالشلل، مما جعل السلطة تتوزع بين وزرائه وحاشيته ونسائه، مما أدى إلى اضطراب الأوضاع في الدولة.
- **تصعيد ضغط الأسبان على الثغور:** بسبب تدهور أوضاع الدولة، بدأ الضغط الإسباني على الثغور الشمالية، مما دفع الوزير جعفر بن عثمان المصحفي إلى استدعاء يحيى بن محمد التجيبي من المغرب لتولي مهمة الدفاع عن الثغور في الأندلس.
- **القرار بإخراج الحسن بن جنون:** الوزير المصحفي قرر إخراج الأمير الحسن بن جنون وأصحابه من الأندلس بسبب النفقات العالية التي يتطلبها وجودهم، وأذن لهم بالرحيل إلى المشرق، حيث توجهوا إلى مصر.
- **استقبال الخليفة الفاطمي:** الخليفة الفاطمي العزيز بالله استقبل الحسن بن جنون وأصحابه في مصر، وأكرمهم، واحتفظ بهم كسلاح يمكن استخدامه ضد نفوذ الأمويين في المغرب الأقصى عندما يحين الوقت المناسب.

سياسة المستنصر مع الممالك المسيحية الأسبانية

- **مساعدة الملك سانشو بن رذمير:** في أواخر أيام الخليفة الناصر، ساعد الناصر الملك سانشو بن رذمير على استرداد عرشه في مملكة ليون، مقابل وعده بتسليم عدة حصون استراتيجية على الحدود للأمويين.
- **مماثلة سانشو:** بعد وفاة عبد الرحمن الناصر، ظن سانشو أن الظروف قد تغيرت، وبدأ في مماثلة تنفيذ وعده، مما أثار غضب الحكم المستنصر.
- **موقف الحكم المستنصر:** قرر الخليفة المستنصر أن يأخذ حقه بالقوة، واستعد للقتال ضد سانشو لاسترداد الحصون.
- **وفد الملك أوردونيو الرابع:** في هذا الوقت، وفد إلى المستنصر الملك أوردونيو الرابع (المخلوع)، الذي كان قد أخذ منه الملك سابقاً وأعطاه لسانشو في عهد الناصر. استقبله الحكم بحفاوة وقرر أن يمنح الملك أوردونيو الحصون بدلاً من سانشو.
- **مماثلة سانشو مرة أخرى:** لما علم سانشو بمسعى المستنصر في منح الحصون لأوردونيو، عاد إلى صوابه وأسرع في الاتصال بالخليفة معبراً عن استعداده لتنفيذ شروط الاتفاق.
- **وفاة أوردونيو الرابع:** توفي أوردونيو الرابع، مما حل الإشكال وجعل الحكم المستنصر في وضع حيرة بشأن أي الملكين يختار.
- **غدر سانشو بعد وفاة أوردونيو:** بعد موت أوردونيو، عاد سانشو إلى غدره واحتفظ بالحصون التي كانت قد أعطيت له، فبدأ في التحضير لمحاربة المسلمين.
- **تحالفات سانشو ضد المسلمين:** تحالف سانشو مع مملكة نبرة وإمارة قشتالة، ما دفع الحكم المستنصر إلى إعلان الجهاد ضد هذه التحالفات.
- **غزوة شنت اشتين:** في عام 352 هـ / 963م، بدأ الحكم المستنصر استعداداته العسكرية ووجه جيوشه إلى طليطلة، حيث كانت أول غزوة له هي غزوة شنت اشتين على نهر دويرة، حيث حاصر المسلمون قلعتها واستولوا عليها.
- **انتصارات الحكم المستنصر:** بفضل قوة جيوشه ومهارة قواده، استطاع الحكم المستنصر غزو الدول الشمالية والانتصار عليها، ما أدى إلى استسلام الحصون المذكورة له.

جهاد المستنصر ضد النورمان

- **حملات النورمان إلى فرنسا:** في أوائل القرن 3 هـ / 9م، بدأ النورمانديون حملاتهم على شواطئ بلاد الفرنج (فرنسا)، حيث استقروا في مصب نهر اللوار والجارون، وأقاموا مراكز لهم في غرب فرنسا.
- **غزو الأندلس:** بدأ النورمانديون في التطلع إلى الأندلس بسبب ما اشتهرت به من خيرات وغنى، فهاجموا شواطئها، حيث عبروا نهر الوادي الكبير وهاجموا مدينة أشبيلية في سنة 834م.
- **تحول في السياسة الدفاعية للأندلس:** كانت غزوة النورمانديين نقطة تحول في سياسة الأندلس الدفاعية، إذ أخذت الدولة الأندلسية بعين الاعتبار محاصرتها بالبحار من ثلاث جهات، مما دفعها للتركيز على تعزيز أسطولها البحري.
- **تأسيس الأسطول الأندلسي:** بدأ عبد الرحمن الأوسط بتأسيس الأسطول الأندلسي، وأقام محارص ورباطات وقواعد بحرية على طول الشواطئ الإسلامية في إسبانيا، مما ساعد على فشل الغزوات النورماندية المتتالية في النصف الثاني من القرن التاسع.
- **تحول في وضع النورمانديين:** في بداية القرن العاشر، وفي سنة 911م، وقع الملك الكارولنجي معاهدة سان كلير التي منحت الزعيم رولون حق الإقامة الدائمة في سواحل فرنسا الغربية، حيث صارت المنطقة تعرف بنورمانديا.
- **تأثير التحول النورماندي:** هذا التحول أعطى النورمانديين موطئ قدم ثابت في غرب أوروبا، مما جعل تحركاتهم أكثر سهولة وقل من اضطرارهم للعودة إلى مواطنهم الأصلية في الدانمارك.
- **قلق الحكم المستنصر:** زاد قلق الحكم المستنصر من خطر النورمانديين، خاصة بعد أن أصبح لهم قاعدة ثابتة في نورمانديا، مما جعلهم يشكلون تهديداً مباشراً لسواحل الأندلس.
- **تعزيز الدفاعات البحرية:** عمل الحكم المستنصر على تعزيز القواعد البحرية استعداداً لأي هجوم من النورمانديين، لتأمين سواحل الأندلس والحفاظ على أمن البلاد.
- **غزوات النورمانديين بقيادة ريكاردو الأول:** كان دوق نورمانديا، ريكاردو الأول (حفيد رولون مؤسس نورمانديا)، قد أمر أساطيله بالتوجه نحو إسبانيا. تحركت هذه الأساطيل في مجموعات عدة باتجاه السواحل الغربية للأندلس.

- **استعداد الأندلس لملاقاة النورمانديين:** في الوقت الذي كانت فيه هذه الغزوات تتجه نحو الأندلس، كانت البلاد على أتم استعداد لملاقاة النورمانديين، حيث كان هناك حراس ومراقبون يتابعون تحركاتهم ويرسلون تقارير إلى الخليفة الحكم المستنصر.
- **تحالفات مع حكام الأندلس:** عقد الخليفة الحكم المستنصر تحالفات مع بعض حكام الأندلس في غرب جيليقية ليكونوا عيناً له على تحركات النورمانديين، حيث كانوا يمدونه بمعلومات وتحذيرات عن تحركاتهم في الوقت المناسب.
- **جواسيس الحكم المستنصر:** كان الحكم المستنصر يرسل جواسيسه إلى مدينة شنت ياقب في شمال غرب إسبانيا لمتابعة أخبار المجوس الذين يتعاونون مع النورمانديين. كما أشار المؤرخ ابن حيان إلى إحدى الرسائل التحذيرية التي أرسلها الحكم المستنصر في رمضان 360هـ / يونيو 970م بخصوص ظهور المجوس على سواحل إسبانيا الغربية.
- **إعداد مراكب مشابهة لمراكب المجوس:** في تحضيراته لملاقاة النورمانديين، أمر الحكم المستنصر بصنع مراكب على هيئة مراكب المجوس ووضعها في الوادي الكبير استعداداً لقتالهم بنفس أسلوبهم.
- **الصوائف البرية والبحرية:** كانت الأندلس تستعد عبر الصوائف البرية والبحرية التي كانت تتجه إلى الساحل الغربي للأندلس في كل صيف، متبعة نهج الجهاد ضد المجوس والنورمانديين في تلك المنطقة.
- **القادة العسكريون:** كانت العمليات البرية والبحرية التي استهدفت النورمانديين يقودها قادة مهرة مثل الوزير غالب بن عبد الرحمن، وأمير البحر عبد الرحمن بن رماحس، وصاحب الخيل زياد ابن أفلح، وصاحب الشرطة العليا هشام بن محمد بن عثمان وغيرهم.
- **غزوات النورمانديين على عهد الحكم المستنصر:** حصر المؤرخون الأندلسيون الغزوات النورماندية في عهد الحكم المستنصر في ثلاث تواريخ رئيسية هي: 355هـ / 966م، 360هـ / 971م، و361هـ / 971م. كانت معظم هذه الغزوات موجهة نحو غرب الأندلس وفي مياه المحيط الأطلسي.
- **غارة النورمانديين الأولى (355هـ / 966م):** في هذه الغارة، هاجم النورمانديون منطقة قصر أبي دانس في جنوب البرتغال، وكذلك سهول لشبونة. دارت معركة عنيفة خلالها استشهد فيها عدد كبير من الجانبين. تمكن الأسطول الأندلسي المرابط في أشبيلية من اللحاق بالأسطول النورماندي عند مصب وادي شلب، واستطاع تحطيم معظمه واسترداد أسرى المسلمين. كان الأسطول النورماندي مكوناً من 28 سفينة، كل منها تحمل 80 محارباً، مما يعني أن مجموع قواتهم كان حوالي 2240 رجلاً، قتل معظمهم وانهزم الباقون.
- **الغارات اللاحقة (360هـ / 971م):** في هذه الغارات، لم يتمكن النورمانديون من النزول إلى الشواطئ الأندلسية بفضل يقظة الأسطول الأندلسي الذي تصدى لهم بفعالية. تمكن الأسطول الأندلسي من إبعادهم دون صعوبة كبيرة.
- **صائفة رمضان 361هـ / 971م:** في رمضان من عام 361هـ، أمر الخليفة الحكم المستنصر صاحب الشرطة هشام بن محمد بن عثمان ومولاه زياد بن أفلح بالخروج على رأس صائفة إلى غرب الأندلس بسبب توقعات بالغزوات النورماندية. تحركت الحملة من قرطبة إلى مناطق غرب الأندلس، وتجولت في مدن وقرى الغرب، حتى وصلت إلى مدينة شنترين في أقصى الغرب. هذا التحرك قد بث الثقة والطمأنينة في نفوس السكان، مما جعل النورمانديين يتراجعون.
- **الاستعداد العسكري الدائم:** تميزت سياسة الحكم المستنصر بالحذر الدائم والمراقبة الدقيقة لسواحل شبه الجزيرة الأيبيرية، بالإضافة إلى الاستعداد العسكري المستمر في البر والبحر. وكان هذا جزءاً من النظام الدفاعي الأندلسي الذي تم تنفيذه بفعالية، بما في ذلك مراقبة مجاري الأنهار الكبيرة.

- **أثر هذه السياسة:** ساعدت هذه الاستعدادات العسكرية على طمأنة سكان شبه الجزيرة الأيبيرية (مسلمين ونصارى) بخصوص سلامة أرواحهم وممتلكاتهم. كما أمنت خطوط تجارتهم البحرية، خاصة في الوقت الذي انشغل فيه النورمانديون بتحركات بعيدة عن سواحل إسبانيا.

وفاة الخليفة المستنصر

- توفي الحكم المستنصر في سنة 366هـ بعد حكم دام خمسة عشر عامًا.
- ترك وراءه ولده هشام المؤيد الذي كان طفلًا صغيرًا دون العاشرة.
- شعر الحكم المستنصر بالصعوبات التي قد يواجهها ولده بسبب صغر سنه.
- قبل وفاته، جمع كبار رجال دولته وأخذ منهم عهداً بالولاء والإخلاص لولي العهد.
- الهدف من ذلك كان ضمان استقرار الدولة وحماية مستقبل هشام المؤيد من التحديات.
- هذا العهد كان يهدف لتأمين فترة حكم هشام المؤيد في المستقبل.

الخليفة هشام الثاني المؤيد بالله

- **وفاة الحكم المستنصر:** توفي الحكم المستنصر بالله في سنة 366هـ، وترك الحكم لابنه هشام المؤيد بالله الذي كان صغيرًا لا يتجاوز العاشرة من عمره.
- **الأزمة بعد الوفاة:** نشبت أزمة في تحديد من يخلفه، وانقسم الناس إلى حزبيين:
 - **حزب العسكريين:** ضم أمراء الصقالبة ورجال الجيش بزعامة فائق وجؤذر، الذين قرروا تنحية هشام لصغر سنه وتولية عمه المغيرة بن عبد الرحمن الناصر.
 - **حزب الوزراء:** ضم شخصيات مثل الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي ومحمد بن أبي عامر، الذين تمسكوا بوصية الخليفة المتوفى لتولي هشام المؤيد.
- **انتصر حزب الوزراء:** انتصر حزب الوزراء بعد تدبير مؤامرة تسببت في مقتل المغيرة، ليخلو الجو لهشام المؤيد، الذي تولى العرش تحت وصاية والدته، صبح البشكنجية.
- **سلطة الأم:** بسبب صغر سن هشام، سيطرت والدته على الحكم في البداية، وهي جارية بشكنسية تحولت إلى أم ولد بفضل حب الخليفة لها.
- **صعود محمد بن أبي عامر:** محمد بن أبي عامر (المنصور) أصبح شخصية بارزة بفضل دعم صبح له، وتم تعيينه حاجبًا ورفعته من خطة الشرطة إلى مرتبة الوزارة.
- **الصراع بين المنصور والمصحفي:** نشب صراع بين المنصور والحاجب جعفر بن عثمان المصحفي بسبب منافسة المنصور للمصحفي، رغم أنه كان في البداية يشغل منصب معاون له.
- **تحول المنصور إلى الحاكم الفعلي:** بفضل دعم صبح، تمكن المنصور من السيطرة على الحكم، وأصبح الحاكم الفعلي للأندلس باسم هشام المؤيد، الذي كان بلا سلطة حقيقية.
- **نهاية الخلافة الفعلية:** مع تولي المنصور الحكم الفعلي، أصبحت الخلافة في الأندلس مجرد رمز سياسي، في حين كانت الأسرة العامرية (المنصور وولديه) هي المتحكمة في شؤون الدولة.
- **عهد جديد:** بدأ عهد جديد في الأندلس تحت حكم الأسرة العامرية، حيث أصبح الخليفة هشام المؤيد مجرد صورة بلا قوة فعلية، وأصبحت الدولة تحت سيطرة الحاجب المنصور وولديه المظفر وعبد الرحمن.
- **الوضع السياسي:** الفترة من 366-399هـ (976-1008م) تُعتبر فترة حكم الأسرة العامرية، التي هيمنت على الحياة السياسية في الأندلس، بينما أصبحت الخلافة شكلية وغير فعالة.

الدولة العامرية

المنصور بن أبي عامر

- **أصل الحاجب المنصور:** يُعتبر الحاجب المنصور سليل أسرة عربية بمنية الأصل تنتمي إلى قبيلة معافر اليمنية. دخل جده عبد الملك الأندلس مع طارق بن زياد وأظهر شجاعة في معارك الجزيرة الخضراء، فتم تكريمه بإقطاعات في بلدة طرش.
- **تاريخ أسرته:** استمر أبناء جده في الحياة الراقية بالأندلس، حيث برز منهم الولاة والقضاة والعلماء، كما كان لبعضهم علاقة قوية بالخلفاء في قرطبة.
- **أصل والدته:** والدته، بريهة بنت يحيى التميمي، كانت من أسرة عربية عريقة في قرطبة تعرف ببني البرطال.
- **نشأة الحاجب المنصور:** نشأ محمد بن أبي عامر في بيئة طموحة، حيث أتم دراسته في جامع قرطبة، ثم افتتح دكاناً عند باب قصر الخليفة لكتابة الطلبات والعرائض.
- **بداية علاقته مع صبح:** سرعان ما جذب انتباه السيدة صبح، زوجة الحكم المستنصر وأم هشام، فاستعانت به في إدارة أملاكها الخاصة بسبب ذكائه وكفاءته. تحولت هذه العلاقة من إعجاب إلى حب، مما دفعها للوساطة لدى الخليفة لرفع شأنه.
- **ترقياته في المناصب:** بدأ محمد بن أبي عامر في منصب أمانة دار السكة، ثم وُلي قضاء بعض النواحي في كورة رية، بعدها أصبح مشرفاً على أموال الزكاة والمواريث في أشبيلية، وكذلك على إدارة الشرطة فيها.
- **ارتفاعه إلى الوزارة:** بفضل كفاءته وزيادة نبوغه، أصبح محمد بن أبي عامر من الوزراء في بداية عهد هشام المؤيد بالله، وبدأت حياته السياسية والإدارية.
- **سياسة الحاجب المنصور:** اتبع الحاجب المنصور سياسة ذكية مليئة بالدهاء والعبقريّة للسيطرة على زمام الخلافة الأندلسية، حيث اتخذ العديد من الإجراءات لتحقيق طموحاته السياسية والعسكرية.
- **إسقاط ضريبة الزيتون:** من أبرز قراراته كان إسقاط ضريبة الزيتون في قرطبة عندما تولى هشام الثاني الخلافة، وهو القرار الذي لاقى إعجاب الناس، حيث كانت الضريبة ثقيلة عليهم. هذا الإجراء ساعده في كسب ود الرعية.
- **الخصوم والأعداء:** كان أمام الحاجب المنصور طريق طويل وصعب مليء بالخصوم والأعداء داخل البلاد وخارجها. ولكن بذكائه ودهائه، تمكن من التفوق على أعدائه واحداً تلو الآخر، حيث استغل الخلافات والصراعات بين خصومه لتدميرهم.
- **الخلاف مع الحاجب المصحفي:** أول خصم واجهه المنصور كان الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، رئيس الوزراء وحليفه السابق في تمكين الخليفة هشام المؤيد من الخلافة. استغل المنصور العداء الذي نشأ بين المصحفي ورؤساء الصقالبة بعد مقتل المغيرة بن عبد الرحمن، وبدأ في إثارة الفتنة بين الطرفين. كان هدفه إضعاف قوة المصحفي وتفكيك قواته.
- **استبدال الصقالبة:** استغل المنصور هذا الصراع وأخذ يشتت قوات الصقالبة، حيث تمكن من إخراجهم من القصر وتعيين مماليكه الخاصين الذين سُموا بـ "الفتيان" أو "المماليك العامرية"، ليحلوا محل الصقالبة في القصر.
- **التحالف مع غالب بن عبد الرحمن:** في وقت لاحق، قرر المنصور التحالف مع القائد غالب بن عبد الرحمن الناصري، أمير الثغور وقائد الجيش، والذي كان له مكانة عظيمة في الدولة. تزوج المنصور من ابنة غالب، وبالتالي أصبح الجيش تحت سيطرته. استغل المنصور الخلافات بين غالب والمصحفي ليدعم مكانته ويعزز سيطرته داخل القصر.
- **الجيش الخاص:** كون المنصور جيشاً خاصاً له من بقايا الصقالبة الذين استمالهم بالمال، بالإضافة إلى مرتزقة من البربر الذين جلبهم من شمال أفريقيا. ثم أسند الخليفة قيادة هذا الجيش الخاص للمنصور، مما جعله جيشاً شرعياً يتبع أوامر المنصور ويخدم أهدافه السياسية والعسكرية.
- **التخلص من المصحفي:** اتفق المنصور مع غالب على التخلص من الحاجب المصحفي، وبدأ في شن حرب دعائية ضده. نسب إليه تهماً عديدة وأثار غضب الخليفة هشام المؤيد الذي أمر بعزل المصحفي من منصبه واعتقاله هو وعائلته. ثم استمر المنصور في تعذيب المصحفي لسنوات، حيث حبسه وأطلق سراحه عدة مرات حتى توفي في السجن، ومن المحتمل أن يكون المنصور قد دبر له موته.
- **الصراع مع غالب بن عبد الرحمن:** بعد أن تمكن المنصور من التخلص من خصومه في الداخل، واجه تحدياً جديداً في شخص صهره غالب بن عبد الرحمن، القائد العسكري الشجاع أمير الثغور. أراد المنصور المشاركة في الحروب الشمالية ضد النصارى ليكتسب شعبية، فتقابل القائدان في حصن بلدة "أنتبسه" في الثغور الشمالية. بدأ الحديث بينهما بتبادل عبارات عتاب، ثم تطور إلى خلاف حاد تحول إلى سباب، مما أدى إلى قتال بين القائدتين. رغم شجاعة غالب وبراعته في المعركة، إلا أنه

سقط ميتاً من على فرسه في عام 371 هـ، ليكون بذلك المنصور هو الفائز ويخلص من منافس آخر.

- **السلطة المطلقة:** بعد القضاء على جميع خصومه، أصبح المنصور بن أبي عامر هو المتحكم الوحيد في السلطة. لم يعد الخليفة هشام المؤيد سوى أداة في يد المنصور، الذي أصبح يمتلك السلطة العليا في الدولة، حيث كان يوجه الأمور كما يشاء. ورغم أنه لم يفكر في استحوازه على الخلافة بشكل رسمي، إلا أنه بدأ يظهر بمظاهر العظمة الملكية، مثل ارتداء الثياب الفاخرة وغيرها من رموز السلطة.
- **التفرد بالحكم:** مع الوقت، بدأ المنصور في تعزيز حكمه الفردي، حيث سعى للسيطرة الكاملة على المملكة وأمور الدولة. بدأ يسير في نهج المتغلبين على سلطات بني العباس في المشرق من أمراء الديلم. قام بتغيير سير الخلفاء المروانيين وأخذ يضيف طابعاً شخصياً على الدولة.
- **بناء المدينة الزاهرة:** لتحقيق استقلاليتها بشكل أكبر، بدأ المنصور في عام 368 هـ / 978م ببناء مدينة جديدة على غرار مدينة الزهراء التي بناها الناصر، حيث أسس مدينة الزاهرة على ضفاف نهر الوادي الكبير. المدينة أصبحت مقراً لحكمه، وضمت مراكز للوزراء والقادة وكبار الموظفين. تم إنجاز بناء المدينة في عام 370 هـ / 980م، وانتقل إليها المنصور وخاصته، وأصبحت مركزاً رئيسياً لسلطته، حيث تم نقل الأموال والموارد إليها من مختلف أنحاء الأندلس.

جهاد المنصور ضد الممالك المسيحية في شمال إسبانيا

- **سياسة الجهاد:** بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر، حرص المنصور على جعل سياسة الجهاد ضد النصارى في أراضي الأندلس وسيلة لزيادة شعبيته بين المسلمين وتعزيز سلطته السياسية. فبدأ يغزو الممالك المسيحية في الشمال الإسباني بشكل دوري في الربيع والخريف، حيث خاض أكثر من خمسين غزوة في سنوات حكمه التي امتدت لخمس وعشرين سنة، وحقق انتصارات كبيرة رغم مرضه بالنقرس. لم يهزم في أي من هذه الغزوات طوال فترة حكمه.
- **غزواته في الشمال:** شن المنصور غزوات متعددة في مناطق قشتالة وليون ونبرة وقطالونيا، وكان له دور كبير في إلحاق خسائر فادحة بالأراضي المسيحية. ومن أبرز غزواته كانت الحملة على مدينة برشلونة في سنة 985م، حيث استهدفت المدينة التي كانت تحت سيطرة الفرنجة بعد أن استولى عليها شارلمان في 801م. برشلونة كانت تعد قاعدة عسكرية للفرنجة، وتحت حماية كونت فرنسي يدعى بوريل الثاني، ولكن المنصور استطاع أن يسقط المدينة بعد حملة استمرت شهرين، وعجز بوريل عن صد الهجوم.
- **غزوة جليقية (سانتياجو دي كومبوستيلا):** من أبرز غزوات المنصور أيضاً الحملة على مدينة شنت ياقب (سانتياجو دي كومبوستيلا) في شمال غرب إسبانيا سنة 977م. كانت هذه المدينة مكاناً مقدساً للمسيحيين، حيث كان يُعتقد أن القديس يعقوب (سانت جاك) قد دفن فيها بعد أن قام برحلة دعوية طويلة. كان الهدف من الحملة هو إضعاف النفوذ المسيحي في هذه المنطقة المقدسة، وتأكيد قوة المسلمين في أراضي إسبانيا.
- **الأسطول الأندلسي:** في الحملة على مدينة سانتياجو (شنت ياقب)، كان الأسطول الأندلسي جزءاً مهماً من الحملة، حيث حمل المشاة والأسلحة والطعام، وأقلع من ميناء قصر أبي دانس على الساحل الغربي للأندلس. ثم انطلق الأسطول نحو الشمال، بينما سلك المنصور طريق البر على رأس فرسانه، متقدماً عبر الأراضي الإسبانية الشمالية حتى وصل إلى نهر دويرة. هناك، التقى بالأسطول الذي أعد جسراً عبر النهر لعبور الجنود.
- **الاحتلال والتدمير:** تقدم المنصور بجيشه عبر الأراضي المسيحية، وتخطى الجبال حتى وصل إلى مدينة سانتياجو. وقد وجد أن سكان المدينة قد فروا منها بسبب خوفهم من الحملة. أمر المنصور بتدمير المدينة وكنيستها، ولكن حافظ على مقام القديس يعقوب احتراماً للتعاليم الإسلامية. وأخذ المنصور الكثير من الغنائم، بما في ذلك أبواب الكنيسة ونواقيسها، حيث استخدم الأبواب لتسقيف جزء من جامع قرطبة، واستعمل النواقيس كنريات للمسجد.
- **نتائج الحملات:** أسفرت هذه الحملات عن زيادة كبيرة في شعبية المنصور وسط المسلمين، وزادت هيئته وقوته داخل الأندلس وخارجها. وأصبح له صيت واسع في كل مكان. كما ذكر عبد الواحد المراكشي في كتابه "المعجب" أن المنصور ملأ الأندلس

بالغنائم والأسرى من النساء والأطفال الروم، مما جعل الناس في الأندلس يتفاخرون بما يجهزون به بناتهم من ثياب وحلي ودور، بسبب رخص أثمان بنات الروم. ووصل الأمر إلى أن ابنة عظيم من عظماء الروم في قرطبة، رغم جمالها، لم تساو أكثر من عشرين ديناراً عامرياً.

- **شعبية المنصور:** بعد وفاته، ردد الناس في الأندلس صيحة "مات الجلاب مات الجلاب!" كناية عن فقدانهم للشخص الذي كان يجلب لهم السبي والغنائم من غزواته.

سياسة المنصور في بلاد المغرب

- **السياسة العسكرية تجاه العدو المغربية:** المنصور بن أبي عامر اتبع نفس سياسة عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر في الحفاظ على السيطرة الأندلسية على العدو المغربية، التي كانت تعتبر خط الدفاع الأمامي ضد الخطر الشيعي القادم من الجنوب. وقد حقق المنصور نجاحاً غير مسبوق في هذا المجال، حيث دخلت جميع الأراضي المغربية تحت طاعته، بما في ذلك المناطق الممتدة إلى سجلماسة وتافيلالت في الجنوب (سنة ٣٧٠هـ)، والولايات الشرقية مثل تلمسان وتاهرت (سنة ٣٨١هـ).

- **المعارضات والثورات:** رغم هذا النجاح، كانت هناك معارضات وثورات ضد النفوذ الأموي في المغرب. لم يكن المنصور ليتهاون مع هذه الثورات، فكان يشرف عليها من مدينة الجزيرة الخضراء في الأندلس، التي جعلها قاعدة عسكرية له. كما أمر ببناء قصور ومنازل على طريقه إلى الجزيرة الخضراء، على غرار ما فعله في الطرق المؤدية إلى الثغور الأندلسية شمالاً.

- **الهجوم الأول - بلقين بن زيري:** في سنة ٣٦٩هـ، قاد الأمير بلقين بن زيري، ملك الدولة الزييرية في المغرب الأدنى والأوسط، هجوماً ضد المنصور. ولكن المنصور جمع جيشاً كبيراً من المغاربة والأندلسيين في سبتة. وعندما شاهد بلقين هذا الجيش من الجبال المطلّة على سبتة، تراجع عن هجومه قائلاً: "سبتة حية ولت ذنبها حذاءنا"، وانصرف إلى وطنه.

- **الهجوم الثاني - الحسن بن جنون:** في سنة ٣٧٥هـ، قاد الحسن بن جنون هجوماً آخر ضد المنصور. وكان قد تلقى دعماً من الخليفة الفاطمي العزيز بالله ووزيره يعقوب بن كلس. سعى الحسن إلى استعادة ملك الأدارسة في المغرب، ولكنه لم يتمكن من الصمود أمام جيوش المنصور التي قادها قبيلة مغراوة الزناتية. تم استسلامه، لكن المنصور أمر بقتله بسبب فساده ونكثه بوعوده.

- **الثورة الكبيرة - زيري بن عطية:** في سنة ٣٨٦هـ، قاد زيري بن عطية المغراوي ثورة ضد المنصور في العدو المغربية. وكان قد ساعد المنصور في قمع الثورة العلوية السابقة. لكن العلاقات بينه وبين المنصور تغيرت بعد آخر زيارة له للأندلس، حيث بدأ يشعر بالاستقلال عن الدولة الأموية. وبعد عودته إلى المغرب، أعلن استعداده للاستقلال عن السلطة الأموية قائلاً: "الآن علمت أنك لي"، في إشارة إلى عزمه على حكم المغرب بمفرده.

- **بناء مدينة وجدة:** زيري بن عطية أسس مدينة وجدة في سنة ٣٨٤هـ بالقرب من الحدود الجزائرية، وجعلها عاصمة لدولته المغراوية.

- **ثورة زيري بن عطية:** في سنة ٣٨٦هـ (٩٩٦م)، أعلن زيري بن عطية ثورته على المنصور بن أبي عامر، وطرد عماله من جميع الأراضي المغربية باستثناء القواعد الأممية مثل سبتة وطنجة ومليلة. تعددت الأسباب التي أدت لهذا الخلاف، ومنها:

- **الاستقلال عن المنصور:** زيري استقل بالعباءة الذي كان المنصور يجريه له سنوياً، واحتقر لقب الوزارة الذي منحه لإياه المنصور، معتبراً نفسه أميراً على أمير.
- **رفض الاستبداد:** يُقال إن زيري أنكر على المنصور استبداده بالخليفة هشام.
- **مؤامرة السيدة صبح:** السيدة صبح، زوجة المنصور التي كانت تكن له الحب، انقلبت عليه بسبب معاملته القاسية لابنها الخليفة هشام. وقد حاولت السيدة صبح إرسال أموال من بيت المال إلى زيري بن عطية، لكن المنصور اكتشف المؤامرة واستولى على الأموال. بعدها، نقل المنصور بيت المال إلى مدينة الزاهرة لحماية أموال المسلمين.

● الحرب مع زيري:

- بدأ المنصور حربه مع زيري بن عطية بإلغاء خطته في الوزارة وقطع راتبه. ثم أرسل حملة بقيادة مملوكه واضح الصقلي إلى المغرب. عبر الجيش المحيط في سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م) ونزل إلى طنجة حيث انضم إليه عدد من قواد البربر المواليين للمنصور. لكنهم لم يستطيعوا دخول مدينة فاس بسبب هجمات زيري، مما دفع المنصور للانسحاب إلى طنجة.
- في وقت لاحق، توجه المنصور بجميع جيوش الأندلس إلى الجزيرة الخضراء، ومن ثم إلى سبتة وأسند قيادتها إلى ابنه عبد الملك المظفر.
- في المقابل، استنهض زيري جميع قبائل زناتة لمحاربة عبد الملك، وشهدت المعارك بين الفريقين تقلبات، حيث كان النصر سجالاً بينهما.

● الخيانة ونهاية زيري:

- في نهاية المطاف، تعرض زيري للخيانة من قبل غلامه الأسود كافور بن سلام، الذي طعنه طعنة قاتلة في رقبته وهو في خيمته. بعد ذلك، هاجم عبد الملك جيوش زيري وهزمهم، واستولى على المال والسلاح. ثم استولى على عدة مدن مهمة مثل فاس وتادلا وسلماسة، وبهذا عاد المغرب الأقصى إلى طاعة المنصور بن أبي عامر.
- عاد عبد الملك إلى الأندلس، بينما بقي واضح الصقلي في المغرب كحاكم من قبل الدولة الأموية في الأندلس سنة ٣٨٩ هـ (٩٩٩ م).

علاقات المنصور الدبلوماسية مع ملوك أوروبا وإسبانيا

● علاقة المنصور مع الدولة البيزنطية:

كانت علاقة المنصور بن أبي عامر مع الدولة البيزنطية ودية، حيث تبادل الهدايا والرسائل مع الإمبراطور البيزنطي في ذلك الوقت، بازيل الثاني (الذي حكم من 976 إلى 1025 م). يعتبر عهد بازيل الثاني من أزهى عصور الأسرة الحاكمة البيزنطية، وقد حافظ على سياسة التعاون السلمي مع أمراء وخلفاء قرطبة.

● علاقة المنصور مع الإمبراطور أوتو الثالث:

كانت علاقة المنصور أيضاً سلمية مع الإمبراطور أوتو الثالث ملك ألمانيا وإيطاليا والإمبراطورية الرومانية المقدسة (حكم من 983 إلى 1002 م). كان أوتو الثالث محباً للسلام ويشجع العلوم، وحاول استعادة عظمة الإمبراطورية الرومانية كما كانت في عهد شارلمان، لكنه فشل وتوفي كمدأ في نفس السنة التي توفي فيها المنصور.

● علاقة المنصور مع الممالك الإسبانية:

أكسبت انتصارات الحاجب المنصور الساحقة احتراماً كبيراً من الممالك الإسبانية، حيث أرسلت هذه الممالك سفارات إلى قرطبة تطلب عقد معاهدات واتفاقيات والتقرب منه:

- سانشو جارشية الثاني أباركا ملك نبرة (Navarra)، الذي قدم ابنته للحاجب المنصور، فتزوجها المنصور واعتنقت الإسلام واسمها أصبح (عبدة)، وأنجبت له ابنه عبد الرحمن شنجول الملقب بـ (سانشويلو) أي "سانشو الصغير".
- برمودا الثاني حاكم ليون أرسل ابنته تريسا إلى المنصور، الذي قبلها كجارية ثم أعتقها وتزوجها، لكنها بقيت على مسيحيتها وترهبت في أحد أديرة ليون بعد وفاة المنصور.

● أقماط قشتالة:

حكم قشتالة في أيام المنصور اثنان من الحكام الذين لقوا هزائم كثيرة على يد المنصور:

- جارتيا فرنانديث (970-995م)، الذي وقع أسيرًا في معركة ثم أخذ إلى قرطبة حيث مات ودفن هناك في كنيسة للمستعربين، ثم نقلت رفاته إلى دير كاردينيا في قشتالة.
- سانشو جارتيا (995-1017م)، الذي هُزم عدة مرات على يد المنصور، حتى اضطر في النهاية لعقد اتفاق مع المنصور وتزويج أخته له، كما تشير بعض الروايات المسيحية.

وفاة المنصور

- **موت المنصور بن أبي عامر:**
مات المنصور بن أبي عامر في 27 رمضان سنة 392هـ / 1002م عن عمر يناهز 65 عامًا، وكان ذلك أثناء عودته من غزوته الأخيرة في أراضي قشتالة، حيث وصل إلى أحواز مدينة برغش، وحقق انتصارًا كبيرًا في المعركة، وقام بسبي وهدم على عادته. إلا أن المرض والإعياء أصاباه، مما جعله يعود مسرعًا إلى مدينة سالم. اشتد عليه المرض هناك، وتوفي ودفن في المدينة.
- **رواية أسبانية:**
تذكر بعض المصادر الأسبانية أن المنصور قد جرح في هذه الغزوة بالقرب من بلدة في قشتالة تُسمى "قلعة النور"، وأنه مات متأثرًا بجراحه. وتستند هذه الرواية إلى مثل شعبي أسباني مشهور يقول:

"En Calatanazor Murio el Manzory Perdio al Tambor"

والذي يعني "في قلعة النور مات المنصور وفقد طبله".

- **تأبين المنصور:**
دفن المنصور في مدينة سالم (Medinaceli)، وقد نقش على قبره الأبيات التالية:

آثاره تنبئك عن أخباره
حتى كأنك بالعيون تراه أبداً ولا يحمي الثغور سواه
تالله لا يأتي الزمان بمثله

أبناء المنصور بن أبي عامر

الحاجب عبد الملك المظفر

بعد وفاة المنصور، تولى ابنه **عبد الملك** الملقب بالمظفر **سيف الدولة** الحكم من عام 1002م (392هـ) وحتى 1009م (399هـ). استمر في سياسة والده الجهادية ضد الممالك الإسبانية النصرانية والسياسة الداخلية التي ساعدت على استقرار الأندلس.

- **أعمال عبد الملك المظفر:**

- **أسقط الجباية:** افتتح عبد الملك عهده بتخفيض سدس الجباية عن الناس في الأندلس، وهو قرار لاقى ترحيبًا واسعًا في الأندلس حيث خفف عنهم العبء المالي وزاد من الرضا الشعبي.
- **العلاقة مع الشعب:** اشتهر عبد الملك بتواضعه وورعه، وكان محل إعجاب المؤرخين مثل **ابن حيان** الذي وصفه بالعفة والحياء والشجاعة. كما كان معروفًا ببره بوالديه وثباته على عهد أبيه.
- **الاستمرار في السياسة الجهادية:**

- الغزوات ضد ممالك إسبانيا النصرانية: سار المظفر على نهج والده في جهاد الممالك النصرانية، فغزا بلادهم سبع غزوات كبيرة، وأوغل في أراضي برشلونة وقشتالة، حتى أجبرها على الصلح والمهادنة، واعتراف ملوكها بسلطانه.

● السياسة تجاه العدو المغربية:

- استمر في سياسة والده في دعم زناتة ومغراوة، وهو ما أكسبه دعمهم السريع، وبدأت هذه القبائل في الدعاء له وللخليفة هشام على المنابر. كما كافأ المظفر زعماء هذه القبائل بأن ضمهم إلى جيشه.
- تعزيز نفوذ بني زيري: كذلك، استقطب المظفر بني زيري بن مناد الصنهاجيين الذين كانوا حكامًا في أفريقية على عهد الفاطميين، حيث انتقل جزء منهم إلى الأندلس واستقروا في غرناطة.

● وفاته:

- لم يستمر حكم عبد الملك طويلاً، حيث أصابته ذبحة صدرية أودت بحياته في عام 1009م (399هـ)، ليترك خلفه فترة من الرخاء والاستقرار السياسي في الأندلس.

عبد الرحمن شنجول

بعد وفاة عبد الملك المظفر، تولى أخوه عبد الرحمن المعروف بلقب شنجول (أو شانجه الصغير) حكم الأندلس. كان عبد الرحمن حفيداً لملك نافار سانشو غرسية، وكانت والدته الأميرة النافارية قد تزوجت المنصور، واعتنقت الإسلام وسميت بـ "عبده". وكان عبد الرحمن يشبه جده كثيراً، مما جعله موضع عدم قبول من الشعب، إضافة إلى سلوكه المنحرف وحبّه للشراب واللّهو.

● طموحات عبد الرحمن شنجول:

- عبد الرحمن كان يسعى إلى السلطة الشرعية للخلافة، فطلب من الخليفة هشام المؤيد أن يعهد إليه بولاية العهد ويمنحه لقب المأمون، وهو ما وافق عليه هشام الثاني الذي كان محجوراً على قراره. ومع التنازل عن السلطة، بدأ عبد الرحمن يتلقب بألقاب الخلافة مثل ناصر الدولة والناصر لدين الله، وأصبح يختال بثوب الخلافة في قصره بالزاهرة.

● تدهور الخلافة الأموية:

- بعد استحواد عبد الرحمن على السلطة، بدأت الخلافة الأموية في الأندلس تشهد تدهوراً كبيراً. فقد كانت الخلافة في أوج قوتها وهيبتها تحت حكم المنصور وابنه المظفر، لكن بعد انقسام السلطة بين الخليفة الروحي والسلطة الزمنية تحت حكم الحاجب، بدأ التراجع. وكان عبد الرحمن قد سعى للحصول على الخلافة نفسها، وهو ما لم يطمع فيه أبوه ولا أخوه من قبل، مما دفع إلى بداية سقوط الخلافة الأموية.

● المؤامرات ضد عبد الرحمن شنجول:

- بعد طموحات عبد الرحمن، بدأ الحزب الأموي في تحريك مؤامرات ضده، وكان من بين هؤلاء أم عبد الملك المظفر التي كانت تظن أن عبد الرحمن كان له دور في قتل ابنها. تم الاتصال بشباب بني أمية الذين كان على رأسهم محمد بن هشام بن عبد الجبار، وبدأوا في التخطيط ضد عبد الرحمن.

● الانقلاب وتدمير الزاهرة:

- عندما خرج عبد الرحمن في غزوته، استغل خصومه الفرصة للهجوم على قصره، وقتلوا نائبه عبد الله بن أبي عامر، وأرغموا الخليفة هشام المؤيد على التنازل عن الخلافة. تم تنصيب الخليفة المهدي بدلاً منه، وتم تدمير قصور الزاهرة وحرقها.

● موت عبد الرحمن شنجول:

- لم ينجح عبد الرحمن في غزوته ضد ملك ليون، وعندما عاد إلى طليطلة، وصلت أنباء الانقلاب ضده. ورغم نصائح مساعده واضح بعدم العودة، أصر على العودة لإخماد الفتنة. وعندما اقترب من قرطبة، تخلى عنه زعماء

البربر، ليواجه أعداءه الذين تمكنوا من قتله بالقرب من دبر على أطراف العاصمة في رجب 399 هـ (مارس 1009م). وبموته انتهت الدولة العامرية، وأصبح ذلك بمثابة نقطة فاصلة في تاريخ الأندلس.

● الخلاصة:

نهاية عبد الرحمن شنجول كانت نهاية الدولة العامرية، ويظهر ذلك ارتباط الناس بالخلافة وحرصهم على أن تكون من قريش، وهو ما كان له دور في فقدان الشعب الثقة في حكام الدولة بعد عبد الملك المظفر.

سقوط الخلافة الأموية في الأندلس

بعد وصول المهدي إلى الخلافة، ظهرت وحدة ظاهرية في البلاد، حيث أصبحت السلطة تحت يد واحدة، لكن هذه الوحدة كانت غير حقيقية، فقد كانت بداية مرحلة الانهيار في الدولة الأموية بالأندلس، والتي استمرت لما يقرب من عشرين عامًا. ومع نجاح المهدي في مؤامراته، بدأ آخرون من أفراد البيت الأموي يطمعون في السلطة، مما أدى إلى تصاعد الفتن والصراعات الداخلية.

● الصراعات الداخلية والفتن:

في فترة حكم المهدي، كانت الدولة تشهد صراعات حادة بين عدة عناصر داخلية مثل البربر والصقالبة وأهل قرطبة. هذه الصراعات كانت تمزق البلاد، وتسببت في تدمير مدن مهمة مثل الزهراء والزاهرة. كما أن عدد الخلفاء الأمويين الذين حكموا في هذه الفترة تجاوز عدد من حكموا في بدايات الدولة الأموية في الأندلس.

● معاملة المهدي للبربر والصقالبة:

في بداية حكمه، أساء المهدي إلى البربر بشكل عام، وأبسط مثال على ذلك معاملته السيئة مع زاوي بن زيري زعيمهم. هذه المعاملة السيئة أدت إلى سخط عام ضد المهدي، حيث هاجم الناس دور البربر ونهبوها. كما أساء المهدي إلى الصقالبة العامريين وأجبرهم على مغادرة قرطبة إلى الشرق الأندلسي، حتى أن واضح صاحب الثغر هو الشخص الوحيد الذي وقف إلى جانب المهدي وكتب له رسالة بالطاعة.

● المؤامرة ضد المهدي:

في ظل التوترات المتزايدة، استغل سليمان بن الحكم هذه الأوضاع وبدأ في قيادة البربر ضد المهدي. فغادر سليمان من قرطبة مع البربر وتوجهوا إلى الثغور، حيث عقد اتفاقًا مع قومس قشتالة للحصول على دعم مادي وعسكري مقابل التنازل له عن بعض المدن في حال انتصاره.

● معركة قنتيش ودخول البربر إلى قرطبة:

في سنة 400 هـ (1009م)، اندلعت معركة كبيرة بين جيش المهدي وجيش البربر بالقرب من قنتيش، انتهت بانتصار البربر ودخولهم قرطبة، حيث قاموا بتدمير المدينة وقتل العديد من أهلها. وفي هذا الوقت، وقع زاوي بن زيري في الأسر.

● فرار المهدي والتحالفات:

بعد خسارته، فرّ المهدي إلى طليطلة، حيث انضم إليه واضح، وأقام تحالفًا مع قومس برشلونة، وأعطاه مدينة سالم مقابل الدعم العسكري. بعدها، جرت معركة في عقبة البقر شمال قرطبة، حيث تم هزيمة البربر، وأجبروا على الانسحاب نحو المغرب.

● معركة وادي آره والهزيمة النهائية:

أثناء توجه البربر إلى الجزيرة الخضراء، وقعت معركة أخرى عند وادي آره، حيث لحق بالمهدي الهزيمة على يد البربر، كما تخلى عنه حلفاؤه من النصارى عندما أدركوا خسارته. اضطر المهدي للعودة إلى قرطبة بعد هذه الهزيمة.

الخلاصة:

حكم المهدي شهد مرحلة من الاضطراب الشديد، حيث تزايدت الفتن والانتفاضات ضد حكمه، وصار البربر والصقالبة قوة مؤثرة تتصارع من أجل السيطرة. ورغم محاولاته لتحالفات استراتيجية، فإن الهزائم المتتالية التي تعرض لها أوصلت الدولة الأموية إلى مرحلة جديدة من الضعف والانقسام، مما أشار إلى قرب النهاية.

استمرت الحرب بين المهدي والمستعين لفترة طويلة، وكانت تتأرجح بين انتصار وهزيمة. في محاولة لحل الصراع، قرر واضح أن يقتل المهدي ويبحث برأسه إلى المستعين، لكي يعيد الخلافة إلى هشام المؤيد. هشام طلب معونة من قشتالة لضمان عدم انضمامها إلى أعدائه، وتنازل عن مائتي حصن على الحدود في مقابل ذلك.

● حصار البربر لقرطبة:

استمر البربر في حصار قرطبة لفترة طويلة، وكان أهل المدينة يحاولون استمالتهم. ولكن، في محاولة لإرضائهم، قتل بعضهم واضح وبعثوا برأسه إليهم، مما زاد من إصرار البربر على اقتحام المدينة. وفي ٢٦ شوال 1403هـ / 9 مايو 1013م، اقتحم البربر قرطبة ودمروا المدينة بشكل مروع. كان هذا الحدث مؤثراً للغاية، ووصفه ابن حزم في كتابه "طوق الحمامة".

● مقتل هشام المؤيد:

بعد اقتحام المدينة، لم يتوقف المستعين عند هذا الحد، بل قتل هشام المؤيد بعد دخوله المدينة بعدة أشهر، وبذلك انتهت حياة هذا الخليفة الذي لم يُمارس مهامه يوماً في الحكم.

● تأثير دخول البربر لقرطبة:

بعد اقتحام البربر للمدينة، بدأوا في السيطرة على المناصب العليا في الدولة مثل الحجابة والوزارة، وبدأوا بتوزيع الأقاليم في الأندلس، خاصة في الجنوب، مما أدى إلى بداية تكوين دول الطوائف، والتي كانت مشابهة لتلك التي شكلها الصقالبة في الشرق الأندلسي.

● بنو حمود والسيطرة على الأقاليم:

كان بنو حمود من الأدارسة يعدون من البربر، واختصهم المستعين بسببة وطنجة وأصيلة والجزيرة الخضراء، ولكنهم لم يكتفوا بذلك. طمعوا في منصب الخلافة نفسه، خاصة وأنهم ينتمون إلى آل هاشم. في 1016م (407هـ)، استطاع علي بن حمود أن يدخل قرطبة، وقتل المستعين، وولى الخلافة باسم الناصر، ليبدأ بذلك فصل جديد في الصراع على الخلافة في الأندلس.

الخلاصة:

الصراع على السلطة في الأندلس كان متواصلاً ومعقداً، حيث تزايدت الفتن والصراعات الداخلية بعد أن تمكن البربر من السيطرة على قرطبة، مما أدى إلى تدمير المدينة وفقدان الخلفاء الأمويين لسلطتهم. المستعين حاول الاستفادة من الدعم البربري لكنه انتهى بمقتله، في وقت كانت الطوائف تنشأ على أنقاض الدولة الأموية، كما طمح بنو حمود في منصب الخلافة بعد اقتحامهم للمدينة وقتلهم المستعين.

● حكم بني حمود وبني أمية:

- حكم خلال تسع سنوات ثلاثة من بني حمود: الناصر، القاسم، المعتلي.
- وحكم خلالها أيضاً ثلاثة من بني أمية: المرتضي، المستظهر، المستكفي.
- تداخلت فترات حكم هؤلاء الخلفاء ولم تستقر الأمور في قرطبة.

● نزاعات وصراعات:

- شهدت هذه الفترة نزاعات داخلية شارك فيها البربر، الصقالبة، وأهل قرطبة.
- حتى الحموديين دخلوا في صراعات مع بعضهم البعض.

● انتهاء حكم بني حمود (417هـ / 1026م):

- استفاد أهل قرطبة من مغادرة المعتلي بن حمود إلى مالقة.
- فتكوا بالحامية البربرية وقرروا العودة لحكم بني أمية.
- تم مبايعة هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ليصبح خليفة، وتلقب بـ المعتد بالله.
- حكم المعتد بالله:

- المعتد بالله تأخر في دخول قرطبة وظل في حصن البونت لمدة ثلاث سنوات.
- دخل قرطبة في 420هـ / 1029م، لكنه لم يحقق النجاح في حكم المدينة.
- لم ينجح في إدارة المدينة ولا في اختيار وزرائه.
- ثورة أهل قرطبة وخلع المعتد بالله (422هـ / 1031م):

- بقيادة أبو الحزم جهور، قرر أهل قرطبة خلع المعتد بالله.
- تم إبعاده وأسرته عن المدينة وأعلنوا إلغاء الخلافة.
- إلغاء الخلافة وتأسيس حكم الجماعة:

- تم الإعلان في الأسواق والأرياض بأن بني أمية ليس لهم مكان في قرطبة.
- تم إلغاء الخلافة وتحولت السلطة إلى نظام شورى بين الوزراء والزعماء.
- أبو الحزم جهور أصبح شيخ حكم الجماعة.
- دولة بني جهور:

- تأسست دولة جديدة في قرطبة تحت حكم الجماعة.
- اقتصرت دولة بني جهور على قرطبة وما جاورها.
- دول الطوائف:

- دولة بني جهور تُعتبر من دول الطوائف التي نشأت في الأندلس بعد انهيار الخلافة الأموية، واستمرت حتى مقدم المرابطين.